M/909.395
M/14/209

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم التاريخ والآثار

جامعة 8 ماي 1945 ـقالمـــــة

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية — قسم التاريخ و الآثار

التخصص : التاريخ العام

مـــذكرة مقـــدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان :

الإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية (910-1206هـ) /1505-1792 م

إعداد الطالبة :
مريم سهتـــال

إشراف الأستاذ:
أ.مـــدور خميسة

لجنـــة المناقشـــــة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.غربي لحواس	أستاذ مساعد ب	رئيسا	قالمـــة
أ.مـدور حميســـة	أستاذة مساعدة	مشرفا و مقررا	قالمـــة
أ. بوشارب سلوى	أستاذة مساعد ب	عضوا مناقشا	قالمـــة

السنة الجامعية 2013:/2014م
1434 /1435هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

" وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ"

صدق الله العظيم

.شكر وتقدير.

من علمني حرفا صرت له عبدا لله

في البداية نشكر الله عزوجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع

كما نتوجه با الشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا على إنجاز هذا البحث

سواء من قريب أو بعيد ولو بالكلمة الطيبة

ولا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من قدم لنا يد المساعدة والعون**فطيمة .أمال** وإلى الأستاذة:المحترمة و النبيلة التي قدمت لي التوجيه و يد المساعدة في كل خطوات هذاالبحث ***مدور خميسة *** وإلى مكتبة النور لمجهودها على السهر لأنجاز هذا العمل المتواضع .

مـــــريم

- الإهداء -

إلى من إحترقت لتنير لي درب العلم.....

إلى القلب الكبير الذي إحتواني بكل صدق.....

....إلى جوهرة حياتي....أمي الغالية.....

إلي من علمني أن الطموح أساس النجاح.....

إلى رمز العزة والشموخ والكبرياء.....

....إلى روح أبي العزيز الطاهرة

اسكنها الله فسيح جنانه .....

إلى قرة عيني.....

إبني الغالي....رسيم .....و رفيق دربي و مفتاح نجاحي ومن بذا أكبر جهد في الوقوف معي ليل و نهار زوجي الغالي بلال .

و إلى أعز رفيقة اختي الغالية ميسون .

كما لا تفوتني الفرصة في أن أوجه شكري إلى من ساعدني في إنجاز هذا البحث وخاصة أخي العزيز حمزة إلى أخي بهيج وشكر خاص إلى خالتي العزيزة صفية وإلى الأستاذة القديرة ندى مدور خميسة التي صبرت عليا صبراً جميلا.

و الله ولي التوفيق

مريم

مقدمة

المقدمـــــــــة

بعد الهزيمة التي لحقت بجيوش الموحدين في موقعة حصن العقاب بالأندلس سنة 1212 ، و سقوط آخر معاقل للإسلام هناك . فر المسلمون من إضطهاد الاسبان ، و كان الحقد الصليبي الدفين عليهم سببا مباشرا لملاحقتهم من طرف الاسبان إلى شمال افريقيا ، الذي يعتبر موقعا استراتجيا و إقتصاديا هاما عزز أطماع الأروبيون إلى هذه المنطقة و تعتبر الحملات الإسبانية في الجزائر قد أخذت صبغة الصليبية،وذلك نظرا للدور الممتاز الذي قام بأدائه رجال الكنيسة من أجلها ،فالكنيسة في إسبانيا قد إهتمت بجميع مالـــديها من الحماس ومن الجرأة بهذه المعركة ضد الجزائر،وقدمت الكنسية الدعم الروحي و المادي لهاته الحملات بإعتبارها حربا مقدسة ضد الكفار خصوصا و الملوك الإسبان في اوج قوتهم في نهاية القرن الخامس عشر ، ووحدت قيادتها،وو استلمت مقاليد أمورها الأيدي القوية والعزائم الشديدة،فقادتها من نصر إلى نصر إلى أن وقعت الكارثة،وسقطت أخر دولة من دول الإسلام، إلا أن الإسبانيون كانوا يخشون من رد الفعل الإفريقي،وكانوا يعلمون من أمرنا اكثر مما نعلم خاصة وأن الجزائر كانت تجتاز فترة إنهيار وكنا نموج بين أحضان الفتن و الإضطرابات و الحروب الداخلية،وفي ظل كل هذا أصبح ملوك إسبانيا يضربون شمالا و جنوبا و غربا الضربات القاسية الفتاكة،محاولين إعادة أمجاد و ممتلكات الإمبراطورية القديمة و صاروا لا يتحملون رؤية دولة اخرى تنازعهم السيادة،فهذا هو السبب الذي جعلهم يلقون بأنظارهم إلى سواحلنا على انهم كانوا يعلمون أن سماء الشرق الاسلامي قد اطلعت هلالا جديدا منيرا هو الهلال العثماني و أن هذا الهلال قد أخذ ينمو ويزدهر،و أمام كل ذلك وقفت الدولة العثمانية وجها لوجه أمام الدولة الإسبانية،وخاصة بعد أن شاعت وذاعت الاخبار عن عروج وخير الدين وملأت أقطارالمغرب العربي وبلاد الأندلس و أصبحا يمثلان قوة إسلامية فراى المجاهدون في الجزائر بأنها الفرصة التي هيأتها العناية الإلهية للمسلمين لمساعدتهم على الخلاص من بين براثن الإستثمارالصليبي الإسباني،فجمع خير الدين و عروج رجالهما ،وتشاورا في الأمر ،وقرروا المبادرة بتلبية هذا النداء ،وأيقنوا أن هذا اللجهاد لإنقاذ ثغور الإسلام بالمغرب الأوسط

ولأهمية هذا الموضوع بالنسبة لتاريخ الجزائر فاخترنا موضوع الإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية من1505م–1792م،ولهذا رغبنا أن نسهم بجهد متواضع في هذا المجال ،مستفيدين

من جهود من سبقونا محاولين ترتيب المعلومات بشكل علمي،أما السبب الثاني لإختيار هذا الموضوع لأنه يتعلق بالدولة الجزائرية التي لن تضمحل أبدا والتي استمرت دائما عظيمة الإيمان ،واثقة بالمستقبل،أما السبب الثالث هو أن أصحح بعض المعلومات حول هذا الموضوع و خاصة فيما يتعلق بتدخل الأتراك في هذه المعركة الحاسمة ، والملابسات التي أوجدت ذلك، وفيما يتعلق بالدور العظيم الذي قام به هذا العظيم الذي قام به هذا الشعب .

و على هذا الأساس حاولنا طرح بعض التساؤلات حتى تكون بداية للإهتمام و البحث في هذا الموضوع الذي هو جزء هام من تاريخ الأمة الجزائرية ، إذ من بين التساؤلات التي تبادرت إلى اذهاننا :

- كيف كانت أوضاع الجزائر قبل الاحتلال الاسباني ؟
- ما هو رد فعل الشعب الجزائري من هذا الاحتلال ؟
- ما هي السياسة التي انتهجها الاخوة بربروسا في مواجهة هذا المشروع ؟
- ما هي العوامل التي ساعدت على فشل المشروع الاسباني ؟

و من هنا حاولنا الاجابة عن هاته التساؤولات فوضعنا خطة ، و حاولنا تنظيمها و الاحاطة بجميع جوانبها مما جعل موضعنا يتالف من ثلاث فصول ، علاوة عن المقدمة و الخاتمة و بعض الملاحق .ففي الفصل الأول الذي يعتبر تمهيدا للدراسة ففيه تطرقنا إلى أوضاع الجزائر قبل الاحتلال الاسباني تحدثنا فيه عن الناحية السياسية ثم انتقلنا الى الناحية الاقتصادية و الاجتماعية ،أما الفصل الثاني الذي خصصنها لسياسة الإخوة بربروسا في مواجهة المشروع الاسباني فأشرنا إلى طبيعة الاعتداءات الاسبانية على السواحل الجزائرية و التي تحمل في مضمونها المرسى الكبير ، وهران ، بجاية ، و عنابة . و في المبحث الثاني خصصناه لدراسة دور خير الدين في رد هذه الهجمات .

اما الفصل الثالث و الأخير فتناولنا فيه الحملات الاسبانية في الجزائر و في المبحث الثاني فشل المشروع الاسباني، ثم خلصنا إلى أوضاع الجزائر بعد نهاية الاحتلال ، و اخيرا حوصلنا

الموضوع بخاتمة تحوي عدة استنتاجات توصلنا إليها من خلال البحث و التحليل في المراجع المختلفة .

و حتى تكون الدراسة علمية كان لابد من اتباع منهج علمي و هو متنوع بحسب المادة العلمية

- منهج وصفي تحليلي استخدمناه في عرض و تحليل الأحداث و توزيعها وفقا للخطة المتبعة

- منهج إحصائي اتبعناه في إحصاء المعارك و التجهيزات الحربية .

- منهج مقارن إستعملناه في مقارنة أوضاع الجزائر قبل الاحتلال الاسباني و بعده .

و بعد رسم الخطوط العريضة ، ووضع خطة أولية بدأنا العمل في جمع كل ماله علاقة بالموضوع ، حيث تمكنا من جمع عدد من الكتب إختلفت أهميتها حسب حاجتنا لها في البحث من هذه الكتب ، كتاب تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، لمؤلفه محمد بن مبارك الميلي و الذي افادنا بمعلومات في المبحث الأول، و كذلك كتاب خير الدين بربروس و الجهاد في البحر لمؤلف بسام لعسيلي و هو كتاب جد مهم بالنسبة لمحتواه و قد اعتمدنا عليه بصفة كبيرة في الفصل الثاني دون ان ننسى كتابين مهمين ورقات جزائرية لمؤلفه ناصر الدين سعيدوني ، و الذي قدم لنا معلومات قيمة في الفصل الثالث حول الحملات الاسبانية ، اما الكتاب الثاني تحت عنوان وصف افريقيا لمؤلفه محمد الوزان الفاسي و الذي افادنا في تقديم وصف دقيق للسواحل الجزائرية التي تعرضت للغزو الاسباني .

أما بالنسبة للمراجع باللغة الأجنبية فقد اعتمدنا على جملة من الكتب اهمها

(René Emmanuelli لمؤلفه (génes et l'Espagne dans la guère de course و الذي افادنا في معرفة كيفية احتلال المنطقة الأولى من السواحل الجزائرية .

بلإضافة إلى بعض المراجع التي اعتمدنا عليهابدرجةأقل منها كتاب لويليم سبينسر بعنوان الجزائر في عهد رياس البحر و كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك بالإضافة إلى بعض رسائل الماستير و اهمها وصول الإخوة بربروسا إلى الجزائر و موقف الأهالي منهم لصاحبها عيمار فرحات و التي افادتنا كثيرا في المبحث الأول من الفصل الثاني بالإضافة إلى

بعض المواقع الإليكترونية من أجل إثراء البحث و إعطائة صبغة فنية و تاريخية جديدة و لماعة و هادفة .

أما في يخص الصعوبات التي واجهتنا أثناء بحثنا في الموضوع محل الدراسة،فتنحصر في الصعوبات العلمية ،والتي منها قلة المصادر والمراجع الخاصة بالموضوع ،وصعوبة الحصول عليها لقلة نسخها ،وبعد أماكن تواجدها ،أضف إلى هذا صعوبة التعامل مع المادة العلمية الموجودة في الكتب.

وفي الأخير نأمل أن يتجند مؤرخون بجميع الوسائل ،والإمكانيات المتاحة لهم – كما هو الحال في الغرب –من أجل النهوض والدفاع عن الأمة العربية و الإسلامية من كل ما هو دخيل عليها ،وللرد على افتراءات وأباطيل ومزاعم الغرب المعتصب دينيا و أخلاقيا في عالم يرفض فيه الأقوى قوانينه وإيديولوجيته.

المبحث الأول:الناحية السياسية

تعرض المغرب الإسلامي لمجموعة من التحولات منذ الأيام الأولى للفتح، و إذا كانت الموجة الأولى للفتح قد وحدت بين مراكز القوى المختلفة، فان انهيار الحكم الأموي، و قيام الحكم العباسي، ثم قيام الحكم الأموي في بلاد الأندلس، قد أدى إلى نوع من التمزق المؤقت الذي ما لبث أن تمخض عن حركات إصلاحية دينية كرد على الدعوات التي أفرزتها حركة الفاطميين التي ترعرعت في المغرب الإسلامي، قبل أن تنتقل إلى مصر، و لعل أفضل تغيير لتلك الحركات الإصلاحية هو ظهور المرابطين، ثم الموحدين أبناء عبد المؤمن، ولم يكن ظهور هذه الحركات و تطورها سلميا، و إنما رافقها عنف دموي ما لبث أن ترك رواسب عميقة[1]

فعند سقوط دولة الموحدين التي سيطرت على شمال إفريقيا لمدة طويلة، ظهرت دولة مستقلة في تلمسان تحت اسم بني زيان، و كانوا من الحلفاء الطبيعيين للموحدين، و مكافأة لهم على ذلك أعطيت لهم تلمسان ليديروها[2]، و في الوقت الذي دمرت المدن المجاورة لها نجحت تلمسان في الدفاع عن نفسها، و أصبحت قاعدة المغرب الأوسط باعتبارها ملتقى لعدة طرق تجارية بين البحر و الصحراء، وقد نال بنو عبد الواد مكانة لدى الموحدين وحصلوا على امتيازات عدة سواء اقتصاديا أو سياسيا، وبعدما بدأ الضعف يصيب الموحدين استغلوا الفرصة لتوطيد أقدامهم في منطقة تلمسان، و استقروا فيها[3]، و ينتسبون إلى "ايغموراسن بن زيان"، و هي فرع الأندلس من قبيلة زناتة الكبيرة، و استقروا بالغرب الجزائري حيث تمتد مواطنهم من تاهرت إلى واد ملوية[4].

بعد وفاة ايغموراسن عام 1283م، تولى ابنه أبو مسعود عثمان الذي سالم الحفصيين من الشرق و المرينيين من الغرب، فتفرغ ليفرض سيطرته على الدويلات الصغيرة الموجودة في

---

[1] - محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، جـ3، دط، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص12.

[2] -عمار بوحوش، تاريخ السياسي للجزائر،دط،دار الغرب الإسلامي،لبنان،2005، ص 45.

[3] - رشيد بورويبة و آخرون، **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، دط ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص ص 312 ،313.

[4] -- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين(814ق.م، 1962م)، دط، دار العلوم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2002م، ص 70.

الجزائر، و خاصة دولة مغراوة المنافسة لكن سلطان بني مرين أبو يعقوب يوسف حاصر تلمسان لمدة ستة سنوات و جعلها تعيش في أزمة كبيرة.

وبعد وفاة السلطان أبو سعيد عثمان عام 1304م، تولى محمد بن سعيد السلطة و هذا ما غير من مجرى الأمور، حيث توفي أيضا السلطان أبو يعقوب المريني سنة 1307م وانتهى الحصار بين الدولتين.

وبعد الضعف الذي لحق بالمرينيين، قام السلطان أبو حمو الأول الزياني الذي تولى السلطة سنة 1307م، باستعادة جميع المناطق التي احتلها خصومهم، و منها مدينة الجزائر وحاكمها "بن علاء"، و بعدها قام ابن تاشفين الزياني بفتح مدينة بجاية سنة 1318م، مما دفع الحفصيين في الشرق إلى الاستعانة بالمرينيين لاسترداد نفوذهم في شرق الجزائر وعندما رفض أبو تاشفين تلك الوساطة من المرينيين هاجمه زعيم الدولة المرينية أبو الحسن أبي سعيد المريني، الذي تمكن من احتلال تلمسان سنة 1337م، و قتل أبو تاشفين و وقعت بذلك تلمسان تحت طاعة بني مرين و انتهت الفترة الأولى من حياة الدولة الزيانية.

وفي الفترة الممتدة من (1337م إلى 1359م)، تمكن المرينيون من أن يحتلوا بقية المناطق الخاضعة للزيانيين، لكن القائد الزياني أبو حمو موسى الثاني، استعان بالحفصيين و جهز جيشا قويا لمحاربة المرينيين، و تمكن من استعادة تلمسان سنة 1359م، كما استولى على وهران في 1361م[1].

وبعدها جدد المرينيون الهجوم مرة أخرى على تلمسان في عهد المنتصر، فاحتلوها سنة 1393م، و استرجعها الأمير مالك الزياني سنة 1411م، و بعدها حاول بنو عبد الواد التصدي

[1] - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص45،46.

للأخطار القائمة ففكروا في نقل العاصمة إلى مدينة الجزائر، إلا أن قوة الدولتين المجاورتين حالة دون استمرارها كدولة مؤثرة في المنطقة.[1]

وباختصار فقد مرت الدولة الزيانية بعدة مراحل تاريخية، فقد عمرت لأكثر من ثلاث قرون (1236-1554م)، ولكن حياتها كلها كانت صراعا مستميتا وطويلا ضد عدة قوى متصارعة متطاحنة عليها في أمور التالية:

* صراع الأفراد فيما بينهم على العرش و السلطة.

* تدخل الدولة المرينية من المغرب الأقصى والدولة الحفصية من الشرق بتونس في شؤون الدولة الزيانية الداخلية في محاولة السيطرة عليها و إزالتها من الوجود.

* تدخل الاسبان تبعا لذلك ولنفس الهدف السيطرة عليها و إزالتها كليا بعد أن ضعف شأن هذه الإمارات الثلاثة جميعها بالمغرب العربي كله.

* تدخل الأتراك في النهاية لإنقاذ وجودهم بالجزائر ولقطع خط الرجعة على الاسبان وتصفية وجودهم بسواحل المغرب الإسلامي وهم الذين وضعوا نهاية لدولة عبد الواد ولأطماع الاسبان في السيطرة على الجزائر و الشمال الإفريقي الغربي كما وضعوا نهاية لدولة بني حفص في تونس[2].

كما يعتبر تاريخ هذه الدولة كليا شائك ومشحون بالحوادث والاضطرابات، و المملكة الزيانية بطبيعتها فلاحيه بطبيعة أراضيها و موقعها، وكانت الفلاحة بهذه المملكة أهم منابع الثروة وفلاحة القمح هي في الدرجة الأولى ويتبعها غرس الزيتون[3]

كما حكمت الدولة الحفصية في بعض الفترات دول المغرب الإسلامي، و كان مؤسسها أبو زكرياء عاملا في تونس و القيروان، مع العلم أن أبو حفص الذي سميت عليه الدولة الحفصية ينتمي إلى جماعات ابن تومر الذي ساهم في إنشاء دولة الموحدين، مكافأة على دعمه لهم تم تعيينه على ولايات الأندلس و المغرب الأقصى، ثم عين أحفاده على ولاية تونس و عند انهزام الموحدين في تونس بادر أبو زكرياء إلى الاستقلال بتونس و كان ذلك سنة 1229م، ثم قام

---

[1] - شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس-الجزائر-المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، جـ2، ط2،ترعزالي محمد و بن سلامة البشير، الدار التونسية للنشر، ص ص322، 321.

[2] - ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، تحقيق هاني سلامة، ط01، مكتبة الثقافة الدينية للنشر و التوزيع، 2001م، ص220.

[3] - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال السياسية)، جـ01، ط01، دار الحضارة للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر2007م، ص 130.

بالزحف على قسنطينة و بجاية و تمكن من السيطرة عليهما سنة 1230م، و تقدم إلى مدينة الجزائر سنة 1238م، و من بعدها إلى تلمسان سنة 1246م وأخيرا قام بالدخول إلى مراكش سنة1274م[1].

ولما أحس بنو مرين بخطر الحفصيين استمالوا بني عبد الواد للوقوف في وجه الخطر المتنامي، و كانت عاصمة الجزائر الحفصية هي بجاية ثم صارت الأهمية إلى قسنطينة غير أن سرعان ما دب فيها الضعف نتيجة الحروب المستمرة بين أبناء الأسرة الحاكمة وبينهم و المرينيين من جهة أخرى، و ضعف شخصياتهم و خاصة في أواخر عهد الدولة الحفصية.

أما عن علاقة الحفصيين بالأمم المسيحية، فقد كانت حسنة في عمومها حيث غلب عليها الطابع التجاري نظرا لتأثير استقرار الأندلسيين بتونس، و ذلك بفضل الهدنة التي عقدها السلطان الحفصي مع "صقيلية" و "اراغون" عام 1424م، و ذلك بعد أن فشلت حملة "الفونس الصقيلي" (Alphonse)، من أجل السيطرة على جربة، كما حاول نفس الملك سنة 1435م، على رأس اسطوا احتلال جربة للمرة الثانية، لكنه فشل، فاضطر إلى عقد معاهدة سلم مع الحفصيين، و مع فلورنسا عقد السلطان الحفصي سنة 1423م، معاهدة سلم وتجارة ثم وسع الاتفاقية لتشمل جنوه أيضا، و كان ذلك سنة 1433م[2].

ضل العهد الحفصي في صراع مع القبائل العربية خاصة قبائل أولاد بليل الذين تمكنوا من الوصول إلى العاصمة و محاصرتها عام 1460م، وأصبحت تونس مسرحا للفوضى[3].

كما عرفت هذه الفترة عقد الدول الأوروبية العديد من التحالفات توجب امتيازات تجارية تمكنت بها من التدخل في شؤون الإمارات المتصارعة تمهيدا لإزالتها، كما استقلت قسنطينة و بجاية و أصبحت ممالك مستقلة تحت سلطة أفراد من الأسرة الحفصية نظرا الحروب الأهلية

---

[1] - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 42.

[2] - Dominique Joly, **Le Dico des Pirates de Corsaires**, Edition de la Martiniere, Paris, 2005, p 126.

[3] - شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 185،186.

الفصل الأول

التي دامت قرابة قرن و نصف بين الإمارات الحفصية و المرينية و الزيانية[1] والملاحظ أن عوامل الضعف هذه، بدأت في دول المغرب الإسلامي حينما فقدت السلطة المركزية نفوذها على القبائل، فأصبحت سلطة الحاكم مقتصرة مباشرة على المدن الكبيرة لكنها لا تتدخل عمليا في شؤون القبائل الداخلية، و سمح بظهور الفئات الدينية مثل المرابطين الذين استأثروا بالعمل الديني، إذ كانت الحالة العامة السائدة هي التنافس والصراع، حيث كان الحفصيون في صراع حول السلطة، و القبائل المتواجدة في تونس بجاية و قسنطينة كانت في حالة تمرد و ولاء اتجاه السلطة التي ستكون عاملا مساهما في منع الاستقرار خاصة القبائل التي كانت تنتقل من منطقة إلى أخرى في مواسم القحط[2].

ضل الشمال الإفريقي يعيش حالة من الفوضى دمرت وحدته و قضت على بعض المحاولات التي قام بها أمراء الدولتين الزيانية و الحفصية، من أجل توحيد البلاد عدا بجاية التي ضلت مزدهرة و مستقرة تحت سلطة أحد أفراد عائلة الحفصيين، إلى غاية 1510م حين تمكن بيدرو نافارو[3] من احتلالها[4]

كانت عدة مناطق في الجزائر قبيل وصول العثمانيين، مستقلة بشكل شبه كلي عن دولتي بني زيان و بني حفص، فقد أقام بنو جلاب إمارة في تقرت قائمة طوال العهد العثماني في الجزائر، و كانوا من بقايا بني مرين و أول سلطان من سلاطينهم كان في "تقرت"، و هو الحاج سليمان المريني الجيلالي، و حسب وصف الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، فقد كان في أوائل القرن 16م، فكانت المدينة تحوي عدة قصور وقرى و أماكن مأهولة بحوالي 2500 منم السكان، و قد أسسوا إمارتهم في منطقة يسودها الفراغ السياسي منذ القرن 14م[5].

---

[1] - رشيد بورويبة و آخرون، المرجع السابق، ص ص 425،435.

[2] - اندري نوشي و اندري بريان و لاكوست ايف، **الجزائر بين الماضي و الحاضر**، تر اسطنبولي رابح و عاشور منصف ،ط ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص ص 116،122.

[3] - بيدرو نفارو: هو بحار و مغامر أصله من بيكساي، جلبه المنكان الكاثوليكيين و استعملاه لتوسعهما في الشواطئ الإفريقية، كان أول والي على وهران كما لعب دورا هاما في احتلال الاسبان للسواحل الجزائرية و تونس و طرابلس.

[4]- Joly Dominique, op.cit, p 126.

[5]- L.Charles, Feraud, Les **Beni Djellab sultans de tougourt**, R.A.N°23, 1879, p-p, 167.169.

كانت ورقلة تعيش نفس الوضعية تقريبا، فحسب محمد الوزان الفاسي فكان لها أمير يشرف علها، و يعيل حوالي ألف فارس، و كان سكانها أغنياء منهم عدد من التجار الأجانب الغرباء عن البلد، مثل قسنطينة و تونس[1]، كما إنها لا تختلف عن باقي المناطق الصحراوية فيما يتعلق بالنشاط التجاري مع إفريقيا السوداء و الشمال الجزائري، فهذه المدن كانت مستقلة عن سلطة الزيانيين و الحفصين.

لم تكن الوضعية السياسية على السواحل تختلف عن حالة أطراف الصحراء، فكانت المدن تعيش نوعا من الاستقلال عن السلطات المركزية في البلاد.

فمدينة بجاية انفصلت تماما عن تونس في مطلع القرن 16م، و كان السلطان أبو العباس عبد العزيز ملك بجاية في صراع حاد مع أخيه أبي بكر حاكم قسنطينة، لأن هذا الأخير كان يرغب في توسيع حدود ولايته، فلم يتوقف عن إزعاج بجاية التي كانت تقاومه بشدة، و تمكن أبو العباس من الحفاظ على سلطته رغم الدمار الذي كان يلحقه أبو بكر بأرياف مملكة بجاية عام 1507م[2].

وإلى جانب ذلك كانت مدينة الجزائر تابعة لمملكة بني زيان في تلمسان لكنها استسلمت لملك بجاية القائم حديثا لقربها من مملكته، فانحاز أهل مدينة الجزائر إلى ملك بجاية.

كما كانت مدينة جيجل مستقلة قبل أن يسيطر عليها الجنويون، فقد حافظت دائما على حريتها، بالرغم من محاولات ملوك بجاية و تونس السيطرة عليها، لأنه يستحيل محاصرتها غير أن الجنويين أقاموا نفوذا تجاريا لهم في المدينة منذ النصف الأول من القرن 13م، وفي سنة 1513م، و بعد أن سيطر الاسبان على بجاية، أرسل الجنوييون أسطولا بقيادة أندري دوريا فاستولى على المدينة و خرب جزئا منها.

و بالنسبة لمدينة القل فقد كانت شبه مستقلة، تواجه والي قسنطينة الحفصي و كذلك ملوك تونس، فأراد والي قسنطينة أن يبقى مسيطرا على القل و سكيكدة لأنها منافذه التجارية على

---

[1] - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830،ط1،دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2007 ، ص 10.

[2]- Feraud L.Charles, Conquête de Bougie par les Espagnols d'après un manuscrit arabe, R.A.N°12, *1868*, p-p, *248-249*.

البحر، أما بالنسبة لعنابة فكانت لا تزال تحت السيطرة التامة للحفصيين، هذا فيما يخص المنطقة الشرقية.

أما في الغرب فكانت سلطة بني زيان ضعيفة في المدن الساحلية، و التي هي الأخرى تحاول الاستقلال[1]، فكانت مدينة وهران تحت سلطة الزيانيين الضعيفة، مستقلة في شؤونها الإدارية و المالية باستثناء ما يتعلق بالضرائب و شؤون الميناء التي تخضع للسلة المركزية إلى غاية سقوطها في أيدي الاسبان[2].

إضافة إلى ذلك ظهرت شبه جمهوريات بحرية في شواطئ البحر المتوسط، مثل شرشال وفي مدينة الجزائر كان سالم التومي يحكم المدينة منذ 1510م، و هو ينتمي إلى قبيلة الثعالبة فرع بني التومي، وعند سقوط بجاية لجأ مجلس أعيان المدينة إلى أقصر الحلول وهو التوقيع على معاهدة الاستسلام بدل الوقوع تحت الحصار و الاحتلال، ففي 31 جانفي 1510م، ذهب سالم التومي بصفته شيخ مجلس أعيان المدينة إلى بجاية للالتقاء بالقائد الاسباني بيدرو نفارو الذي احتل عاصمة الحماديين معلنا له عن قبول مجلس الأعيان لتوقيع معاهدة السلام مع اسبانيا[3].

كما كانت المناطق الجبلية مستقلة بدورها، و تأسست فيها إمارات مثل ، إمارة كوكو سنة 1510م، في قلب جبال جرجرة و أخذ زعيمها أحمد بن القاضي اسم السلطان على سكان المنطقة[4]، و كان من أواخر ملوك مدينة بجاية، و عند السيطرة الاسبانية على هذه المدينة في 06 جانفي 1509م، عند قبائل أيت غوبري (Ait Ghoubri)، في أورير (Aourir) حيث أصبح قائدا لقوة كبيرة من الأهالي، و كانت هذه الخيرة بمثابة عاصمة له[5]، إضافة إلى ذلك نجد إمارة بني عباس التي تأسست في مرتفعات بجاية سنة 1510م، و قد اختار السلطان عبد

---

[1] - صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 10،11.

[2] - عبد الحميد ابن أبي اشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر،ط المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1986م، ص ص98،99.

[3] V .Lutsky, Modern History of Arabe countries, progress publishers, Moscou, 1969, p 167.

[4]- ()-Fray Diego Haedo, Rois D'Alger, Traduction De Grammont, R.A.N°139.

[5] - Dujardin Camille Lacoste, Le voyage d'Idir et Djya en Kabylie Initiation à la culture kabyle, Éditions L'Harmattan, 2003, p 70.

الرحمن هذا الموقع لأسباب أمنية، و عرفت الإمارة أوج قوتها في فترة حكم عبد العزيز، و كانت مرتبطة بالدولة الحفصية، كما لعبت دورا في مواجهة الاسبان، ثم العثمانيين[1].

بالإضافة إلى هذه الإمارات، عرف المغرب الأوسط أيضا عدة حروب مع دولة بني مرين بالمغرب الأقصى، فرغم انتماءهم و بني عبد الواد إلى قبيلة زناتة الكبيرة إلى أن الخلافات بينهم كانت كبيرة و مستمرة، و لم يعرف المغرب الأوسط من المرينيين سوى محاولة السيطرة ومد النفوذ، فلم تعرف هذه الدولة حدودا واضحة طوال فترة وجوده[2].

كانت نتائج هذا التشتت راجعا إلى الخصومات القائمة بين الزيانيين و بني مرين منذ نشوء مملكتيهما من جهة[3]، و بينهما و بين الحفصيين من جهة أخرى، نتيجة لرغبة هؤلاء في مد حدودهما، فأخذوا يتوسعون في المغرب الأوسط، فسيطروا على بجاية و قسنطينة وأصبح بنو زيان تحت رحمتهم، مما زاد هذا الوضع تعقيدا و تفاقم انحلال الأخلاق والطوائف الصوفية و انتشار نفوذ الزوايا، و أعمال الحكام التعسفية[4].

---

[1] - Youcef Allioui, **Les Archs, tribus berbères de Kabylie, Histoire- Résistance-Culture et démocratie,** L'Harmattan, 2006, p 205.

[2]- Léon Godard , Histoire du Maroc, Edition Atlas, Paris, 1965, p 394.

6 - رشيد بورويبة و آخرون، المرجع السابق، ص157

[4] - جلال يحي ، المغرب العربي الكبير ، ط2، المكتب الجامعي الحديث ، مصر1982،ص ص16،17 .

المبحث الثاني : الناحية الاقتصادية

احتلت مدينة تلمسان في العهد الزياني مكانة اقتصادية هامة بالمغرب الأوسط ، فاعتبرت مركز أعمال ومقر صناعة وتجارة هام بفضل موقعها القريب من الموانئ الساحلية الشمالية ووجودها في مكان تلتقي في الطرق التجارية الكبيرة. وقد أهلها ذلك لأن تكون سوقا عالمية لمختلف السلع والبضائع المتباينة، القادمة من وراء البحر الأبيض المتوسط، ومن بلاد المغرب والمشرق وجنوب الصحراء.

ومن مميزات تلمسان كمركز دولي للمبادلات التجارية بين الشمال والجنوب والغرب والشرق، الطريقة المحكمة لتنظيم أسواقها، وساحاتها وأزقتها، على نسق جميل بحيث كانت الدكاكين والحوانيت والورشات التابعة لأرباب الصناعة والتجارة مرتبة ترتيبا محكما حسب طبيعة ونوعية البضائع والسلع المصنعة والمعروضة للتجارة [1]. وكانت التربيعات والرحبات التي يملكها التجار وأهل الصناعة، موزعة على أحياء المدينة ودروبها وفي الأسواق العامة المتخصصة[2]. وتعتبر الحياة الاقتصادية بمدينة تلمسان نشطة ومتطورة بفضل المخازن والمصانع والأسواق الدائمة والأسبوعية والموسمية، القائمة بالمدينة وخارجها. وكان أهل تلمسان يفضلون الاشتغال بالتجارة والصناعة ويرغبون فيها، ويقدمونها على غيرها من المهن، حتى أن الشيوخ والعلماء والفقهاء، ضربوا فيها بسهم وافر، فاشتهر الكثير منهم في هذا الميدان. فقد كانت لهم مصانع للحياكة ودكاكين للخياطة، وغيرها من المهن، في الدروب والأزقة وفي السوق الكبير المعروف بالقيصارية (أو القيسارية).

ومن أمثال هؤلاء العلماء والفقهاء نذكر أبو يزيد عبد الرحمن النجار والخطيب أبو زيد بن أبي العيش الذي كان يملك دكانا بجوار المسجد الكبير يستغله للتجارة وكان يعد ملتقى للعلماء والفقهاء. ومنهم كذلك أبو إسحاق الخياط الذي كان له محلا لخياطة الملابس بدرب القبابين؛ أما أبو عبد الله محمد بن مرزوق فقد كان تاجرا كبيرا له عدة دكاكين تجارية بالقيصارية وفي درب مرسى الطلبة ، يبيع فيها شتى أنواع البضائع وينسخ فيها الكتب. وكان المؤرخ أبو العباس بن القطان يمارس التجارة لحسابه وحساب أبي إسحاق التنسي في دكان في القيصارية اشتراه بأموال هذا الأخير.

وتتركز معظم الأسواق بوسط المدينة، موزعة على الساحات والشوارع ، كسوق الخياطين والنساجين، والعشابين والعطارين والصاغة، وسوق الخضر والفواكه ورحبة الزرع[3].

---

[1]- الحسن الوزان، وصف إفريقية، ط 2، ج 1، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983،ص19

[2]- مارمول كربخال، إفريقية، ج.2، د ط ، ترجمة: محمد حجي وآخرون، الرباط: دار نشر المعرفة، 1988-1989ص 299.

[3]- ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف* ، د ط ، تحقيق: أحمد التوفيق، الرباط: منشورات كلية الآداب، *1984*، من ص 447-448.

وكانت المحلات التجارية تؤجر من الخواص وأصحاب العمارات والمنازل ومن الأوقاف ومن والولاة، ويتراوح ثمن إيجارها ما بين ستة دنانير وستين دينارا في السنة، وذلك حسب مساحتها وموقعها[1].

أما سوق الحدادين وأدوات النحاس والصباغين، فتقع شرق المدينة، وقد نجد مثل هذه الحرف منتشرة في أحياء متباينة من تلمسان، مثل سويقة إسماعيل، وسوق السراجين والقبابين وسوق منشار الجلد وسوق الكتب[2].

وتوجد الأفران الخاصة بطهي الخزف والفخار والقرميد والآجر، خارج أسوار المدينة ولا سيما في الشمال الغربي، بالقرب من باب القرمادين، وفي الجنوب الشرقي أمام باب العقبة [3].

وكانت معاصر الزيتون تتجمع حول الأبواب وخاصة في الجنوب الشرقي من المدينة، حيث تكثر أشجار الزيتون على طول ضفاف وادي متشكانة. كما تقع الصناعات التي تحتاج إلى الماء وتدار بقوته، على ضفاف الأودية، كمطاحن الحبوب التي أقيمت على ضفة وادي الصفصيف غير بعيدة عن المدينة [4]، وطاحونة بالقرب من البرج الذي سمي باسمها وهو برج الطاحونة، على بعد عدة كيلومترات من مدينة تلمسان[5]. كما كان الدباغون والصباغون يلجئون إلى ضفاف الوديان لغسل الصوف والجلود وصبغها ودباغتها.

وقد تعود سكان بادية جبل ورنيد، بجنوب تلمسان على تزويد سكان المدينة بالحطب والفحم والعسل والحليب باستمرار، ولعل أسواق الحيوانات كانت تقع خارج أسوار المدينة وفي ضواحيها وكان للسوق حراس لحراسة الدكاكين والبضائع معا[6].

---

[1]- ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، المصدر السابق ، ص ص 447-448.

[2]- محمد ابن مرزوق الخطيب، المجموع، مخطوط، الرباط: الخزانة العامة، ميكروفيلم رقم 20 ، ورقة 12و 46. وكذلك: أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، تحقيق: محمد بن أبي شنب، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1908، ص 79.

[3]- Sid Ahmed BOUALI : Les deux grands sièges de Tlemcen, Alger: ENAL, 1980, p. 4.

[4]- مارمول كربخال، المرجع السابق ، ص 299.

[5]- مارمول كربخالالمرجع السابق ، ص 299.

[6]- ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي،المصدر السابق، ص 370.

الزراعة:

كان المغرب الأوسط خلال عهد الدولة الزيانية يزخر بإمكانيات جعلت منه إقليما فلاحيا، منها وفرة مصـــادر المياه المتمثلة في العيون و الينابيع و القنوات و الأنهار و منها:« نهر الشلف الكبير المشهـــور ينصب عند مستغانم،و هو مثل النيل يزيد أيام نقص الأنهار،وعليه مجالات مغزاوة من زناتة،وكانت الأراضي التي تتدرج من سهل الشلف من أجود الأراضي،فكان جزءا منها مستغلا، و حتى في فصل الجفاف لوفرة مياه نهر شلف،و كذلك أراضي سهل متيجة فكانت هي الأخرى مستغلة[1]،فازدهرت الفلاحة و قوي إنتاجها و أصبحت مصدر الثروة.

تعرض الحسن الوزان إلى سهل تسّـــلة:«سهل كبير يمتد على مسافة نحو عشرين ميلاً و ينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب،يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب»[2]،و حتى سفوح الجبال كانت تستغل هي الأخرى في إنتاج الحبوب غير أنها تتميز بقلة الإنتاج،أما منطقة تيهرت اشتهرت بزراعة الحبوب لكثرة مياهها و برودة مناخها و قرب التلول الصالحة للزراعة،أما حوض الشلف فتميز بوجود مجموعة من المحاصيل منها القمح و الشعير و الحنطة[3]،وكانت المناطق الممتدة ما بين هنين و تلمسان هي الأخرى تنتج كمية كبيرة من التمار منها«الكرز و المشمش و التفاح و الأجاص و الخوخ و ما لا يحصى من التين و الزيتون»[4]

قام الحســـن الوزان بقياس سهل متيجة قرب مدينة الجزائر مع وصف نوعية إنتاجه من القمح قائـــلا:«و في الضواحي سهول جميلة جدا،لا سيما سهل متيجة الذي يبلغ طوله حوالي خمسة و أربعين ميلا و عرضه ستة و ثلاثين ميلا،حيث ينبث القمح الجيد»[5] و يضيف قائـــلا:«و يحيط بالجزائر عدد من البساتين و الأراضي المغروسة بأشجار الفواكه.و يمر قرب المدينة من الجهة الشرقية نهر نصبت عليه طاحونات.و يزود السكان بالماء للشرب و لأغراض أخرى»[6]من بينها ري الأراضي الزراعية الشاسعة .

كانت الدولة الزيانية تضم ثلاثة أقاليم:الجبال،و تنس،والجزائر[7] فتلمسان عاصمة الدولة[8]،عُرفت بموقعها الجبلي الذي تنحدر منه مياه الأنهار و بمناظرها الطبيعية الخلابة وبساتينها،قال عنها ابن سعيد المغـــربي:«و الأندلسيون يقولون كأنها من مدن الأندلس لمياهها وبساتينها».

---

[1]- مختار حساني،تاريخ الدولة الزيانية،ج2،دار الحضارة،الطبعة1،2007،ص26.

[2]- الوزان الحسن بن محمد الفاسي،وصف إفريقيا،ترجمة محمد حجي،و محمد الأخضري،ج2،دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان،الطبعة 2،1983،

[3]- مختار حساني،المرجع السابق،ج2،ص27.

5- الحسن الوزان،ج2،ص16

6- - المصدر نفسه،ج2،ص37

[6]- المصدر نفسه،ج2،ص37

[7]- الحسن الوزان،ج1،ص31

[8]- ابن الحاج النميري، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب،دراسة و إعداد الدكتور محمد بن شقرون ، ط1، دار الغرب الإسلامي ،1990،ص487 .

وتميزت بوفرة إنتاجها حتى قال عنها العبدري:«والدائر بالبلد كله مغروس بالكرم و أنواع الثمار»[1]،فالمساحة الزراعة للدولة الزيانية كانت شاسعة و إنتاجها كان وفيرا،ما جعلها محل أطماع جيرانها المرينيين و الحفصيين .

فعندما استولى السلطان المريني أبي عنان على تلمسان «استوى على ساقية النصراني. . . فشرب من مـــائها العذب. . .و أفاض في الثناء على ماء تلمسان و طيب هوائـــها»[2]وكانت منطقة تلمسان كثيرة الزرع و الفواكه،و صفها الحسن الوزان:«و في خارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية ينعم المدنيون بسكانها في الصيف،حيث الكروم المعروشة الممتازة تنتج أعنابا من كل لون،طيبة المذاق جدا،و أنواع الكرز الكثيرة التي لم أر لها مثيلا في جهة أخرى،والتين الشديد الحلاوة،و هو أسود غليظ طويل جدا،يُجفف ليأكل في الشتاء و الخوخ و الجوز و اللوز و البطيخ و الخيار و غيرها من الفواكه المختلفة»[3]لوقوع تلمسان طبيعيا ضمن المغرب الأوسط الذي قال عنه ابن سعيد المغربي:«ومن حد قسنطينة إلى بجاية مجالات رياح،ومن غربي بجاية إلى تلمسان مجالات رحيبه»[4]،و هذا يعني أن المغرب الأوسط ساعدته عوامل طبيعة على الاهتمام بالنشاط الفلاحي.

كانت التمور تنتج بالمناطق الصحراوية جنوب المغرب الأوسط،أهمها إقليم توات بالمغرب الأوسط الذي قال عنه عبد الرحمن بن خلدون بـــه جنات من النخيل والأعناب و سائر الفواكـــه:«و فيه قصور متعددة تناهز المائتين،آخذة من المشرق إلى المغرب و آخرها من جانب المشرق يسمى تمنطيت»[5] و على العموم كانت الواحات بالصحراء منتشرة بشكل مقرون بتواجد الأودية و منابع العيون .

و عن مواصفات الدولة الزيانية الطبيعة،يذكر الحسن الوزان:«و يُكون معظم مملكة تلمسان أقاليم جافة قاحلة،لا سيما في جزئها الجنوبي،لكن السهول القريبة من الساحل منتجة جدا نظرا لخصبها و الجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المفازات. . .و كذلك في إقليم تنس و فوق بلاد الجزائر عدد لا يحصى من الجبال غير أنها كلها منتجة»[6]،و هذا ما أكده من قبل ابن سعيد المغربي عندما تحدث عن مدينة تنس:«مدينة تنس،و هي مشهورة بكثرة القمح،ومنها

---

[1]- العبدري ابو عبد الله محمد بن محمد ، رحلةالعبدري ، تح : علي ابراهيم ط1، دار سعد الدين للطباعة و النشر ، دمشق 1999،ص49.

[2]- ابن الحاج النميري ، المصدر السابق ، ص487.

[3]- الحسن الوزان،المصدر السابق،ج2،ص20.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في ايام العرب و العجم و البربر و عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج7،ط ، دار الفكر ، بيروت ، ص84 .

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، نفسه ، ص10 .

[6]- حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص10 .

يحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس وغيرها»[1]فرغم ذلك كان المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية يشهد بين الحين و الآخر مجاعات و أوبئة .

كانت تربية المواشي ببلاد المغرب الأوسط تقوم جنبا إلى جنب الزراعـــة،فالمحصول الزراعـــي مقرون بالمنتوج الحيواني فهو من أنشطته و اهتماماته،و كانت أراض الدولة الزيانية مرتعا لمختلف الحيوانات و خاصة الأغنام و الأبقار و الخيل و كانت المنطقة المحصورة ما بين جبل السرسوا و منطقة الزاب مراعي لهم[2]،فكانت الثروة الحيوانية عنصر هام في اقتصاد الدولة الزيانية،و ذلك بإنتاج اللحوم و مد الصناعة بالصوف،و عسكريا وذلك باستخدام الخيول في الحروب.

[1]- خالد بلعربي ،الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية 633-681 هـ/1235- 1282م،مطبعة تلمسان، الطبعة 1،2005، ص160 .

[2]- مختار حساني المرجع السباق، ص32.

ب- الصناعة:

اشتهرت الدولة الزيانية بالإنتاج النباتي والحيواني،فقد قامت صناعة واسعة عليهما،كما توفرت فيها بعض المعادن التي سمحت بقيام صناعة معدنية[1]،منها الحديد بمدينة هنين التي قال عنها مرمول:«توجد بها معادن كثيرة للحديد و الفولاذ»[2]،وكان السكان يعجبون بالصناعة و يقبلون على تعلمها ويكرهون القصور فيها[3]،فازدهرت الصناعة و انتشرت بأرجاء الدولة الزيانية،فانتعشت معها الحياة الاقتصادية و الاجتماعية.وصف ابن سعيد المغربي تلمسان عاصمة الدولة الزيانية«بكثرة صنائعها»[4]لاعتناء ملوك بني زيان بالصناعات المختلفة من نسيج و ورق و معادن و نحاس و الأعمال الحرفية مثل الفخار و نحت الرخام و نقش الخشب و المجوهرات[5]ولم تكن الحرف تزاول في الأسواق فحسب،بل حتى في المنازل[6]،و من الحرف التي اشتهرت بها النساء،صناعة الزرابي و الخياطة و الطرز بخيط الذهب و الفضة و غزل الصوف[7]لتوفير حاجيات السكان منها،و كانت الصناعة منتشرة بأنحاء الدولة الزيانية.

و يبدو أن بعض مدن المغرب الأوسط تخصصت في نوع معين من الصناعات،فالصناعة النسيجية انتشرت بالمدن و الأرياف،و منها العُباد التي قال عنها الحسن الوزان:«العُباد. . .وافرة السكان و الصناع،و معظمهم من الصباغين»[8]و عن مدينة ندرومة يقول أيضا:«و ندرومة اليوم مزدهرة لكثرة الصناع فيها،و ينتجون على الخصوص أقمشة القطن لأنه ينبت بكثرة في الناحية»[9]،و عن مدينة هنين يقول مرمول:«تصنع فيها أقمشة جميلة و أنسجة أخرى من القطن»[10]و قد يكون هذا التخصص عائدا إلى طبيعة المدينة نفسها و توارث الحرف و انتقالها بين الأجيال.

عرفت الدولة الزيانية تنظيم النشاط الحرفي،فخصص لكل حرفة جناح لها بالأسواق و القيصريات و الفنادق،مثل سوق الوراقين،و الفخارين والعطارين والصباغين و الدباغين[11]

---

[1]- خالد بلعربي ،المرجع السابق، ص165 .

[2]- مرمول كربخال ،أفريقيا ، ج2 ، دط ، تر : محمد حجي و آخرون ، مطابع المعارف الجديدة ،ص ص296،297.

[3]- مختار حساني،المرجع السابق ،ص81.

[4]- عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار ريحانة للنشر و التوزيع 2002،ص85.

[5]- المرجع نفسه،ج2،ص90

[6]- الحسن الوزان،المصدر السابق،ج2، ص24

[7]- المرجع نفسه،ج2،ص14

[8]- مرمول كربخال،المصدر السابق،ج2،ص296-297

[9]- مختار حساني،المرجع السابق،ج2،ص85 .

[10]- الحسن الوزان،المصدر السابق،ج2،ص19 ينظر كذلك:مرمول كربخال،المصدر السابق،ج2، ص298

[11]- مختار حساني،المرجع السابق،ج2،ص98 .

قال عنها الحسن الوزان:«و جميع الصنائع و التجارات بتلمسان موزعة على مختلف الساحات و الأزقة –كما ذكرنا ذلك بالنسبة لفاس– لكن دور تلمسان أقل قيمة بكثير من دور فاس»[1]

كانت صناعة الحديد من بين الصناعات الهامة،لوفرة المواد الأولية في محيط الدولة الزيانية،فقد استخدمت في كثير من الصناعات مثل صناعة الأسلحة التي شملت السيوف و غيرها من أدوات القتال،كما صُنعت من الحديد أبواب المدينة و تحصيناتها،و استخدمت منه الأدوات البسيطة كالسكاكين و مقابض الأبواب و الفؤوس و المحاريث و غيرها.و من بين المدن التي كان سكانها يشتغلون بها مدينة تفسرة[2]التي قال عنها الحسن الوزان:«تقع على بعد نحو خمسة عشر ميلا من تلمسان،فيها حدادون كثيرون. . .أهلها لا يشتغلون بغير خدمة الحديد و نقله إلى تلمسان»[3]التي أصبحت مركزا صناعيا بالدولة الزيانية.

كان أصحاب الحرف و المهن و الصناعات بتلمسان عاصمة الدولة الزيانية،يكسبون أمـــوالا كثيرة،و يعيشون حياة راقية وصفهم فيه الحسن الوزان:«و الصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء و متعة، و يحبون التمتع بالحياة»[4]و كانت كل طائفة من التجار و أصحاب الحرف بتلمسان تتجمع في مكان واحد و تسمى به[5]،و منها العطارين و الحدادين و غيرها من الأسماء .

عرف النشاط الصناعي في أواخر الدولة الزيانية ازدهارا كبيرا نتيجة الهجرة الأندلسية إلى مدنها بالمغرب الأوسط،لكن الخبرة الصناعية لم تعد تقتصر على الأندلسيين،بل برز عدد من الصناع في مختلف الصناعات[6]قال عنها ابن الحاج النميري:«و مصانع يعجز عن وصفها كل لسان. . .قد أحكمت فيها أنواع الصنائع»[7]

---

[1]- الحسن الوزان،المصدر السابق،ج2،ص19 .

[2]- مختار الحساني ،المرجع السابق ،ص98 .

[3]- . الحسن الوزان،المصدر السابق،ج2،ص24 .

[4]- الحسن الوزان،المصدر نفسه ،ص 21.

[5]- رشيد بورويبة و آخرون،الجزائر في التاريخ،العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني،المؤسسة الوطنية للكتاب،(د. ط)،ص490.

[6]- مختار الحساني ، المرجع السابق ،ص82.

[7]- ابن الحاج النميري ، المصدر السابق،ص488 .

ج- التجارة:

احتلت الدولة الزيانية مكانة قيادية في التجارة بالمنطقة لما تتمتع به من خصائص جغرافية و اقتصادية.فقد كانت مدينة تلمسان بحكم موقعها المنتهي و المنطلق في نفس الوقت لطرق التجارة،منطلقا للبضائع القادمة من أوربا و غيرها من البلاد المسيحية،و منتهى للبضائع الصحراوية و في مقدمتها الذهب.و بفضل موقعها استطاعت أن تخوض غمار التجارة و بالرغم من الاضطرابات السياسية و عدم الاستقرار،فان الدولة الزيانية عرفت ازدهارا عظيما و رخاء اقتصاديا كبيرا في فترات السلم [1] لتوفر الأمن واستغلالها لمؤهلاتها الطبيعية .

كانت تلمسان عاصمة دولة بني زيان النقطة التي تلتقي فيها الطرق التجارية الرئيسية التي تربط إفريقية بالمغرب الأقصى من جهة،و بين البحر الأبيض و المتوسط و الصحراء من جهة أخرى[2]،مما أهل الدولة الزيانية لتتحكم في طريق القوافل التجارية،منها الطريق العابر للمغرب الإسلامي الذي ينطلق من الأندلس نحو المشرق الإسلامي،فكانت الطريق المفضل لأغلب الرحالة المغاربة الذين وصفوا الأحوال الاقتصادية للدولة مثل العبدري و ابن بطوطة ثم الحسن الوزان في بداية القرن 10هـ/16م [3]فكان لابد لهم من عبور المغرب الأوسط سواء ذهابا إلى الحج أو إيابا عند عودتهم منه إلى ديارهم.كانت تربط بين تلمسان و بلاد المغرب علاقات تجارية مزدهرة، إلا أن ازدهار النشاط التجاري كان مرتبطا بالأحوال السياسية[4]،وكان تجار الدولة الزيانية يجولون و يجوبون المدن المغربية،و يصلون إلى بلاد السودان الغربي مع القوافل،منهم التاجر الحاج زيان الذي في قافلة ابن بطوطة فذكره قائلا:«وكان في القافلة تاجر تلمساني يعرف بالحاج زيان [5]وكانت تلمسان تصدر سلعا وصفها ابن سعيد المغربي قائلا:«ومنها تحمل ثياب الصوف المفضلة على جنسها المصنوع في سائر المغرب،وتحمل منها الجم الخيل والسروج وما يتبع ذلك»[6]كسب منها تجار تلمسان أرباحا كبيرة .

كان التجار اليهود يشكلون مجموعة تجارية قائمة حول البحر و بلاد النصارى و مصر،وبلاد المغرب[7]،و قد وصف الحسن الوزان فئة التجار بالدولة الزيانية قائلا:«فالتجار أناس منصفون مخلصون جدا و أمناء في تجارتهم، يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن

---

[1]- رشيد بورويبة و آخرون،المرجع السابق،ص477 .

[2]- المرجع نفسه،ج2،ص477.

[3]- مختار حساني ، المرجع السابق ،ص135.

[4]- المرجع نفسه ، ص144.

[5]- عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،دراسة سياسية،عمرانية،اجتماعية،ثقافية،ج1 (د ط)،موفم للنشر و التوزيع،الجزائر،2002،ص216

[6]- الحسن الوزان،المصدر السابق،ج2،ص21

[7]- رشيد بورويبة و آخرون،المرجع السابق،ص478

وجه.أهم أسفارهم التجارية هي التي يقومون به إلى بلاد السودان،و هم وافروا الغنى أملاكا و نقودا»[1]وهذا يعني أن تجار تلمسان كانوا ميسوري الحال.

أقامت الدولة الزيانية علاقات تجارية مع الدول المسيحية،و كانت تحددها معاهدات ذات نصوص واضحة[2]،و كان لموانئ الدولة الزيانية دور كبير في نشاط المبادلات التجارية مع العالم الخارجي ومنها«مرسى هنين »[3]و وصفه الحسن الوزان بقولـــه:«هنين. . .لها ميناء صغير محروس ببرجين. . .تحيط بها أسوار عالية متينة،لا سيما من جهة البحر،و تأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان»[4]،وقد وصف مرمول تجارة الزيانيين مع السودان الغربي قائلا:«و أهم تجارتهم في غينيا،حيث يحملون بضائعهم كل سنة،ويأتون منها بالتبر والعنبر،والمسك،و سنور الزباد،ورقيق السود،وأشياء أخرى من بضائع البلد.و يتاجرون بالتبادل محققين كثيرا من الربح حتى لتكفي رحلتان أو ثلاث ليستغني التاجر»[5].ومن موانئ المغرب الأوسط التي لعبت دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية في عهد الدولة الزيانية،المرسى الكبير الذي قال عنه الحسن الوزان:«المرسى الكبير مدينة صغيرة أسسها في عصرنا ملـــوك تلمسان على ساحل البحـــر المتوسط، بعيدة ببضعـــة أميال عـــن و هران. . .يمكن أن ترسو فيه بسهولة مئات المراكب و السفن الحربية في مأمن من كل عاصفة و إعصار»[6]و موانئ أخرى وصفها من قبل الرحـــالة ابن حوقل خـــلال القرن 4 هـ/10م[7]و كانت موانئ الدولة الزيانية بمثابة شريان نشاطها الاقتصادي ومركز اتصال بالعالم الخارجي .كان المغرب الأوسط يصدر كميات كبيرة من المنتجات الخاصة بتربية المواشي مثل الغنم و الماعز،والصوف و الجلود و الفواكه،مثل التمور ومنتجات الصناعة التقليدية،لاسيما صناعة السلال و نسج الحلفاء و الزرابي والجارد المنقوشة ثم الذهب الذي كان هو المادة الأولى التي تجلب التجار إلى المغرب الأوسط[8]و كانت الدولة الزيانية كانت تضرب السكة،فوُجد الدينار و الدرهم و أجزاؤهما المختلفة[9]ذكرها الحسن الوزان:«و يسـك الملك نقـودا من الذهب. . . و يسك أيضا نقودا فضية. . .و أخرى نحاسية متفاوتة القيمة و النوع»[10]و قد كان للزيانين عملة مثل جيرانهم الحفصيين و المرينين .كانت بين تلمسان علاقات تجارية مع السودان،فقد كانت مدينة تيزيل الواقعة جنوب تلمسان هي التي تنطلق منها القوافل إلى سجلماسة.[11]

---

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق،ص 53.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر نفسه ،ص 53.

[3]- مرمول كربخال،المصدر السابق،ج2،ص 300.

[4]- الحسن الوزان،المصدر السابق،ج2،ص15.

[5]- مرمول كربخال،المصدر السابق،ج2،ص 300.

[6]- الحسن الوزان،المصدر السابق،ج2،ص31.

[7]- إسماعيل سامعي،الحركة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال صورة الأرض لابن حوقل القرن 4 هـ/10م،مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ربيع الأول 1427هـ/أفريل 2006م،العدد 20،ص ص 181- 182.

[8]- رشيد بورويبة و آخرون،المرجع السابق، ص483 .

[9]- المرجع نفسه،ص488 .

[10]- الحسن الوزان،المصدر السابق،ج2،ص23 .

[11]- سجلماسة:مدينة بنيت على سهل وادي زيز، و أحيطت بسور عال ما زالت بعض أجزائه باقية.كانت سجلماسة مدينة متحضرة جدا، دورها جميلة، و سكانها أثرياء بسبب تجارتهم مع بلاد السودان. ينظر:الحسن الوزان،المصدر السابق،ج2،ص127 .

و ورقلة[1]و منهما إلى السودان.[2]ومن السلع التي كانت تستوردها الدولة الزيانية من السودان: الذهب،ريش النعام ،العاج و الرقيق[3].و كان التلمسانيون يتخذون لأنفسهم مندوبين تجارا بأسواق توات و الصحراء،يحددون لهم الأسعار الرائجة و يرسمون لهم السلع المطلوبة التي ينبغي أن يعدوها و يرسلوها إلى الصحراء لكثرة الطلب عليها،و يتكفلون مقابل ذلك بشراء سلع الصحراء المطلوبة لهم في الشمال[4]،و نظمت التجارة في شكل قوافل تجارية .وصف عبد الرحمن بن خلدون العلاقات التجارية بين تلمسان و السودان قائلا:«فلا بد لهم في كل سنة من رحلة. . . إلى قصور توات و بلد تمنطيت،و مع ناجعتهم تخرج قفول التجار من الأمصار و التلول حتى يحطوا بتمنطيت.ثم يبذرقون منها إلى بلاد السودان».[5]رغم سوء الأحوال السياسية و الحروب التي عرفها المغرب الإسلامي بعد سقوط دولة الموحدين، إلا أن الأوضاع الاقتصادية ازدهرت بالمغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية،و ذلك بفضل إمكانياتها الطبيعية و عناية سكانها بمختلف الأنشطة الاقتصادية،فازدهرت الزراعة و كثر إنتاجها و تنوعت الصناعة و نشطت التجارة الداخلية بين حواضر المغرب الأوسط و الخارجية مع جيرانها المرينيين و الزيانيين خاصة في أوقات السلم و مع النصارى عن طريق الموانئ الهامة مثل هنين و المرسى الكبير و تنس و الجزائر و غيرها من الموانئ،و مع السودان الغربي،مما أنعش الحياة الاقتصادية.

---

[1]- ورقلة:مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا،لها سور من الأجر النيئ ودور جميلة، و حولها نخيل كثير.يوجد في ضواحيها عدة قصور و عدد لا يحصى من المدن.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ص 215.

[3]- عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق، ص216.

[4]- يحي بوعزيز،تاريخ إفريقيا الغربية الشمالية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20(د ط)،دار هومة،2001،ص 71 .

[5]- عبد الرحمن ابن خلدون،العبر،ج7،المصدر السابق،ص 77 .

كما شهد الغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية نشاط عمرانيا ملحوظا تنوعت فيه الاتجاهات العمرانية فشملت الضواحي و زادت المباني الدينية و الثقافية و العسكرية ،ففي عهد يغمراسن بن زيان بنيت صومعتان و الجامعين الأعظمين بمدينة تلمسان ذات الزخارف التي هي من صنع أندلسي [1]

كما كانوا ابنوا زيان على دراسة ببناء المدن و الأسوار و القلاع و الحصون ووسائل الدفاع .كما شيدوا المدارس لتكون أداة للسلطة لتكوين الأطر و العلماء المختصين في المذهب المالكي مع الاهتمام بتدريس مختلف العلوم و المواد الأخرى و خلاصة القول أن المدرسة الزيانية أقيمت خصيصا لإيواء الطلبة و تدريس العلوم و خاصة منها المقترنة بالمذهب المالكي لتعزيز مكانته في الدولة كما تفنن الزيانيون في تخطيط مدارسهم [2].

كما قام سلاطين بني زيان بإنشاء دار لسك العملة و كانوا يتعاملون بالدينار الذهبي كما كانوا يسكون عملة فضة و كذلك عملة نحاسية ذات قيمة و أنواع مختلفة و كان يتم التعامل بهذه العملة بين طوائف الشعب المختلفة[3] .

وفي عصر الأسرة الزيانية عاد المذهب المالكي يمثل مكانة رفيعة من جديد في المغرب الأوسط بعد أن أفقدها في عهد الموحدين وقد صحب انتصار المالكية في بلاد المغرب الأوسط توطن الثقافة العربية في مختلف المجالات بانتشار اللغة العربية و تغلغل الثقافة اللإسلامية في نفوس الناس [4]

---

[1]-المؤلف مجهول ،المرجع نفسه،ص176.
[2]-صالح بن قربة ،تاريخ الجزائر في العصر الوسيط د ط،منشورات المركز الوطني في الحركة الوطنية ،ص53.
[3]-صالح بن قربة ،المرجع نفسه،ص177.
[4]-المؤلف مجهول ،المرجع السابق،ص178.

المبحث الثالث : الناحية الاجتماعية

وفي عهد حكم أسرة بني زيان توسعت تلمسان وقد كانت تحوى ألف أسرة في عهد السلطان أبي تشفين عبد الرحمان الأول سنة(1318–1352)و بلغت درجة سامية من الازدهار ،وتكاثر عدد سكانها و توزع فيها كل المهن وأصناف التجارة و يوجد بها بضعة جوامع و مساجد معتنى بها بصورة حسنة و توجد بها بعض الحمامات من كل المستويات[1]

و كانت الحمامات الموجودة في المغرب الأوسط حمامات عامة كما كانت لهم أساليب جديدة في الصيد بالجوارح ،ثم اكتساب بعض النواحي الأخلاقية الحميدة كالعطف على الضعفاء ونصرة المظلوم و احترام المرأة[2]

كما توجد بها بضعة فنادق حسب الطراز العربي الإسلامي و يوجد في المدينة موارد عديدة للماء و أسوارها عالية .كما كان ينقسم سكان تلمسان إلى 4طبقات صناع و تجار طلبة و جنود و تجارها رجال شرفا ء و مخلصون و شرفاء في معاملتهم و يعملون جاهدين لجعل مدينتهم جيدة التموين و سفرهم الرئيسي نحو بلاد السودان وعساكر السلطان رجال مختارون و يتقاضون أجور مرتفعة و الطلاب هم أفقر سكان المدينة لأنهم يعيشون في مدارسهم بصورة بائسة و بعد أن يحصل أحدهم على الشهادة النهائية يعين أستاذ ا أو كاتب عدل أو إماما ،و تجارة تلمسان و أهلها ذو هندام جيد و يكتسي الطلاب حسب حالتهم المادية و إعتمد بعض الأمراء على القوة في الوصول إلى السلطة كما حدث في عهد أبي سعيد .[3]

---

[1]– المؤلف مجهول،موسوعة التاريخ المغرب العربي ،ج 5 ،ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1994،ص161.

[2]–ممدوح حسين،الحروب الصليبية في شمال إفريقيا ،ط 1،دار عمار،1998،ص 699.

[3]–المؤلف مجهول، المرجع السابق،ص175.

الفصل الثاني

المبحث الأول : طبيعة الإعتداءات الإسبانية

إن سقوط غرناطة أنهى ما كان يسمى حروب الاسترداد (Réconquista)، كما فتح لاسبانيا نوعا جديدا من الحملات و استغلال العالم، مع أخر مسلم طرد من اسبانيا وظهرت محاكم التفتيش (wave of Inquisition)، أو الإبادة باسم جماعات المستردين[1]، فبعد اكتشاف كريستوف كولومبس للعالم الجديد انفتحت اسبانيا على بحار جديدة و أطماع في الذهب و الثروة، و أعطيت لها الفرصة لنشر المسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية، بفضل ثروة جديدة مسلوبة من العالم الجديد، و هذا ما أدى إلى قيامها بإبادة الإمبراطوريات المنافسة لها[2]، و في نفس الوقت وقعت عدة مجازر بربرية ضد المسلمين المطرودين من بلاد الأندلس، و تعرضت بدورها عدة موانئ جزائرية في أوائل القرن 16م إلى الاحتلال فأصبحت القارة الأمريكية و شمال إفريقيا هدفا للحملات و محاولات الإبادة[3]، فبالرغم من أن عدة مدن في شمال إفريقيا قد استسلمت للاسبان، إلا أنهم واصلوا التدمير و المجازر فالشعب الجزائري لم يسلم من ما تعرض له الهنود في شمال أمريكا و الذين هجروا أو أبيدوا[4].

وبذلك بدأت مرحلة جديدة في برنامج التوسع الاسباني، و قد خشي الكاردينال"خمينيس" المعروف بتعصبه الديني و الذي كان أبرز الدعاة إلى مواصلة الحرب ضد المسلمين بعد السيطرة على غرناطة، و هذا ما أثار مخاوف الملكة اليزابيت التي عرفت بتعصبها هي الأخرى ضد المسلمين، أكثر من الملك فرديناند، و أثار مخاوفها من المسلمين الذين فروا إلى بلاد المغرب الإسلامي.

---

[1] - Fatima Maameri, Ottoman Algeria in Western Diplomatic History with Particular Emphasis on Relations with the United States of America (1776-1816), doctorat d'Etat, University Mentouri, Constantine, Algeria , December 2008, p 27.

[2]- Muir Ramsay, The Expansion of Europe, The Culmination of Modern History, 2nd edition Constable and Company, London, 1917, p.p, 17-20.

[3]- Fatima Maameri, ibid, p 28.

[4]-Nabil Matar, Britain and Barbary, 1589–1689, in Daniel J. Vitus, ed. Piracy, Slavery, and Redemption, Barbary Captivity Narratives from Early Modern England, Columbia University Press, New York, 2001, p 09.-

أ) المرسى الكبير

وهي مدينة صغيرة تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط تأسست في عصر ملوك تلمسان وهي بعيدة ببضعة أميال عن وهران ويمكن أن ترسو فيها بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية [1] ولقد وقعت هاته المنطقة من طرف الاسبانيين وذلك سنة1505تحت قيادة دون رايموند دي قرطبة ومعه أسطول يحمل خمسة آلاف رجل بقيادة (دون ديتفور فردناندين)ووصل الى المرسى الكبير يوم 11سبتمبر ،وأحكم الحصار على المدينة لمدة خمسين يوما[2].وقت ذهل سكان المنطقة من هذا الهجوم المفاجئ حيث ارتكب الاسبان أعمالا وحشية في هاته المنطقة قلما عرفا التاريخ لها مثيلا [3] .

و ظلت الاشتباكات في هذه الفترة مستمرة عندما بدأ الاسبان عملية الانزال ، وقاوم الأهالي مقاومة يائسة و عنيفة رغم اختلال التوازن بين قوى الطرفين، نتيجة ليأس الحامية بعد مقتل قائدها ، وأثناء الليل تشاور سكان المدينة فيما بينهم فكانت الأغلبية تميل الى متابعة القتال و في الأخير وصلوا الى التفاوض وهي انسحاب المسلمين من المدينة في أجل أقصاه ثلاث ساعات واشترط عليهم الايأخذوا معهم أي شئ من الزاد و المؤن و الأسلحة وعند انسحاب المسلمين اقتحم الاسبان المدينة [4]

---

[1] - الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، المصدر السابق ،ص31

[2]- Remè emmanelli ;çènes et l'Espagne dans la gueme de couse . sosiété meditemaméemmes. Paris. 1964.p307

[3] -) عزيز سامح التر، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية(د ط) محمود علي عامر ، دار النهضة العربية،بيروت 1989، ص17

[4] Amar Amour .Résumé de l'histoire de l'Algérie. T par maaradjisli .Edition raihana 2002

و بعدها أخذت القيادة الاسبانية في الاعداد للحملة الثانية حيث أغارة مباغتة و جند لهذه الحملة مرتزقة استأجرهم بالمال من رجال قبيلة حيزة و غادرت الحملة المرسى الكبير في 6 جوان1507وضمت كل القوة الاسبانية حيث وصلت الى هدفها مع الفجر ونتيجة لوصول نجدة من طرف القبائل المجاورة قلب موازين القوى وهزم الاسبان هزيمة ساحقة و بعد ذلك أرسل دعما عاجلا لحماية المرسى الكبير ونظم الاسبان المستعمرة فجعلوا من المرسى مركز محصنا للتمويل والتوسع.[1].

[1] محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية دراسة تاريخية نقدية،دط،تقديم البيشاوي سعيد عبد الله، دار الشروق،الأردن،1999،ص170.

ب) وهران

و كان الانطلاق من مرسى قرطاجنة الاسبانية يوم 19ماي1509 بقوة من ألف مقاتل و كانت عندئذ وهران تحت سلطة الملك الزياني، حيث استولى (دون روي رياز) على المنابع المائية الموجودة في الطريق المؤدي الى وهران وبني حصنة وضع فيه فرقة عسكرية وحاول أن يستميل اليه سكان المناطق المحيطة وفتح لهذا الغرض سوقا حرة لا تبعد عن الحصن الا قليلا، لكن السكان رفضوا كل تلك الاغراءات[1] حيث قام الملك فرناند بارسال أسطولا كبيرا لمحاربة أهلها وتخليص المسيحين من مصيبة عظيمة تتكرر بدون انقطاع فانهزم الأسطول بسبب أخطاء في العمل، ثم أعاد الملك الكرة بعد شهور، فجمع بمساعدة بعض الاساقفة و كاردينال اسبانيا أسطولا أهم من الأول تمكن في يوم واحد من الاستيلاء على المدينة لأن السكان خرجوا يقاتلون بغير نظام وتركوا المدينة خالية ،فعلم الاسبان فأرسلوا قسما من جنودهم الى الجانب الاخر من وهران ولما أخذ المغاربة يتراجعون نحو المدينة لصد العدو عنها، أبصروا الرايات المسحية ترفرف على الأسوار [2] وهكذا تم الاستيلاء على مدينة وهران وبنو في جزيرة مقابل الجزائر

حصن مقابل الجزائر واتجهت أنضارهم الى تونس[3]

---

[1]- مبارك محمد الميلالي الميلي، المرجع السابق،ص25

[2]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي،المرجع السابق،ص 30.

[3] - شوقي عطا الله الجمل ،عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، تاريخ افريقيا الحديث و المعاصر،د ط ، دار الزهراء، الرياض، 2002،ص86.

لقد أمر القائد كسيناس جنوده لما دخلو وهران تقتيل المسلمين حيث انه تم تقتيل 4الآف شخص عدا النهب و السرقة وغادر كسيناس وهران بعد أن حول مساجدها الى كنائس[1].

[1] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص26

ج - بجاية :

مدينة بجاية مدينة بناها الرومان تحيط بهاأسوار عالية مبنية وفيها جوامع كافية ومدارس يكثر فيه الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم ،وكان أهل بجاية على قدر كبير من الغنى يسلحون العديد من السفن الحربية المختلفة ، ويرسلونها لغزو شواطئ إسبانيا[1] كما كانت بجاية ميناءً بحاريا وقاعدة للقراصنة ومركزًا فكريا ودينيا بحيث كانت منطقة القبائل تمد ترساناتها البحرية با لخشب وتألف سكانها من القبائل والأندلسيين فضلاً عن طائفة يهودية وبعض المسحيين [2] ومن ثم فإن عملية إحتلال بجاية بدأت بمناورة خداعية ، إذ ركب الجيش الإسباني السفن وغادر المرسى الكبير يوم 30 نوفمبر 1509 بقيادة "بدرو نافاروا " وبمجرد وصول إلى جزر البليار إنضمت إليه قوة دعم إضافية، ثم أقلع الأسطول بقوة 20 سفينة كبيرة تحمل 10 ألاف مقاتل وأليات الحصار ووصلت الحملة الإسبانية إلى مدينة بجاية يوم 5 جانفي 1510 وبدأت المعركة بتبادل النيران با لمدفعية بين الإسبان وحامية بجاية التي حاولت منع الإسبان من النزول إلى البر فقسم قائد الحملة "بيدرو نافارو" قواته إلى فرقتين ، وقامت الأولى با حتلال المرتفعات المحيطة با لمدينة ، والثانية قامت بإقتحام المدينة ، وأسفرت المعركة على إنتصار الإسبان وقتل أربعة ألاف من السكان المحلين ، كما دمرت المدينة وقضت على الكثير من المعالم العمرانية [3] وسبب هذا الإنتصار يرجع إلى عدد الجنود الذين نزلو بجاية وكان عددهم 15ألف ونزل جميعهم في ميدان ضيق وكان عددهم يفوق عدد المجاهدين المقاتلين[4]

---

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي،المصدر السابق ص50.

[2] ج.ت،تيلي،المرجع السابق،ص 124.

[3] عيمار فرحات ،وصول الإخوة بربروس إلى الجزائر وموقف الأهالي منهم ،رسالة ماستر،جامعة حسيبة بن بو علي الشلف،2012/2011،ص20.

[4] عمر محمد البارو ني،الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس،دط ،مطبعة ماجي،طرابلس،1952،ص26.

د- عنابة :

بونة أو عنابة مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط وهي مشهورة عند الكثير باسم بلد العناب لكثرته في ذلك المكان وهي كثيفة السكان ، إلا أنها أهل عنابة متكبرون شرسون إلى حد أنهم لا يرضون فحسب بقتل حكامهم بل يتجرأون على التهديد بتسليم المدينة إلي النصاري[1] وهذا ماسهل للإسبان عملية إحتلال مدينة عنابة وإقامة قاعدة غربية إسبانية كما سارت كل من دلس وشرشال علي درب مدينة عنابة واحتلت بعد ذلك كل السواحل الجزائرية [2]

كما ان حكام هته المدينة لم يكونوا بالحكام المنصفين المستقيمين بل يتميزون با لعجرفة والسذاجة [3]

---

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق،ص62.

[2] - عميمار فرحات ، المرجع السابق ،ص21.

[3] - الحسن بن محمد الفاسي ، المصدر السابق ،ص62.

المبحث الثاني : دور خير الدين في رد الهجمات

ترجع أصول خير الدين باشا من أروام جزيرة (مدللي)[1] إحدى جزائر الروم وكان هو وأخاه يشتغلان في القرصنة ببحر الروم ثم أسلما واستمرا بحرفتهما وهي أسر مراكب المسيحيين التجارية [2] وقد ظهر خير الدين في فترة حرجة يسودها المستقبل الغامض ، كان يعيشها المغرب الأوسط ، وقام هذا الأخير با السيطرة على المتوسط كما كان خير الدين مدركا أن الصراع بين شمال إفريقيا ضد القوة الأروبية تحتاج إلى مشاركة دولية إسلامية كا الدولة العثمانية ظهر خير الدين كرجل من كبار قادة الدولة العثمانية في البحر المتوسط جعلت الأهالى يطلبون المساعدة من الإخوة بربروس ، وإتصال عروج با الجزائر كان سنة 1512 حين طلب منه أهالى بجاية مساعدتهم على طرد الإسبان ومساعدة مدينتهم المحتلة منذ سنة 1510 إلا أن عروج فشل في تحرير بجاية فتوجه إلى جيجل إستجابة لطلب الأهالى وتمكن من الإستلاء عليها كما تمكن أيضا من تحرير مدينة شرشال ثم عاد إلي مدينة الجزائر واستقبل بحفاوة كبيرة وبعد أن نضم عروج أموره في الجزئر إتجه إلى الغرب من أجل بسط نفوذه ،وبقي عروج في تلمسان لمدة سنة وأقام هناك التحصينات إلا أن أبو حمو قد تحالف مع إسبانيا ضد عروج وتم قتله نواحي المالح[3]

---

[1] جزيرة مدللي : إحدى جزر الأرخبيل وهي من الجزر اليناتية ،وتقع في شمال بحر إيجة فتحت هذه الجزر في عهد الدولة العثمانية .

[2] محمد فريد بك المحامي ،تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ط1،دار النفائس، 1981 ،ص 230.

[3] عبد العزيز سليمان نوار ،تاريخ الشعوب الإسلامية ،د ط ، دار الفكر العربي،ص 107.

وبعد مقتل عروج قرر أعيان مدينة الجزائر مبايعة خير الدين بالإجماع خلفا لأخيه على رأس الدولة الفتية [1]

حيث عمل خير الدين ضد الإسبان خاصة و ضد النصارى عامة،حيث تمكن خير الدين من أن ينتصر على الإسبان فى عدة معارك كما إستطاع أن يصد الهجوم على الجزائر كما حاول التخلص من الأمراء المحليين الذين طلبو النجدة من الإسبان [2]

و كان هدفه إخضاع البلاد الجزائرية و إلحاقها بالسيادة العثمانية فاستولى على القالة ،عنابة،قسنطينة،و في شهر ماي 1529 استسلمت اليه الحامية الإسبانية المعتصمة بالحصن الإسباني فذاع بذلك صيته و عظم نفوذه و قد لقى خير الدين الدعم من السلاطين العثمانيين من الأسلحة و الذخائر و التجهيزات الحربية و بدأت القوات الجزائرية إ ستعدادها لمجابهة الأعمال العدوانية[3]

[1] عيمار فرحات ،المرجع نفسه ص 64.
[2] محمود شاكر ،التاريخ الإسلامي في العهد العثماني ط 4 ،المكتب الإسلامي ،2000 ،ص519.
[3] محمد العروسي المطوي الحروب الصليبية في المشرق و المغرب ، د ط،دار الغرب الإسلامي ،1982،ص269.

أ- الأسس الإستراتجية لسياسة خير الدين في الدفاع و المواجهة

لقد أصبحت منطقة المغرب الأوسط نيابة عثمانية بعد أن إستطاع خير الدين أن يفتح حصنا للإسبان مقابل مدينة الجزائر وأصبح خير الدين يعمل من أجل ضم تونس إلى الجزائر غير أن الإسبان قد إحتلو تونس لأن الصليبيون كانوا يخشون توحيد بلاد المغرب.[1]

فقد وسع خير الدين حدود الإيالة على التراب الحالي للجزائريين تقريبا بإستثناء الصحراء واتفق مع القبائل على أن يحلفوا يمين الطاعة للسلطان العثماني بواسطة نائبه الجزائري [2] وأولى خير الدين أهمية كبيرة إلى تجهيز سفن القرصنة في الجزائر وذلك رغبة في الإنتقام وكان لابد أن تتسم مثل هذه الإستعددات بالعنف ضد الإسبانين الذين تشكو منهم هذه الشعوب ،حيث كان الجزائريون يجهزون سفن صغيرة تشبه سفن الإسبانيون وكانو يراقبون السواحل ويقمون بنوع من التجارة وفي نفس الوقت يحتجزون السفن الإسبانية ويقودونها إلى مدينة الجزائر لا تدوم هذه الحملات البحرية في العادة 5 أيام أو 6 أيام[3].كما عمل خير الدين على تشييد الحصون لحماية المدينة و ثكنات الجيش ويمنح للجندي عند إنخراطه في السلك العسكري بدلة عادية وبندقية وقليل من البرود وقطعة من الرصاص كما عمل على حشد القدرات والإمكانيات كلها من أجل تأمين متطلبيات الحرب[4].

---

[1] محمود شاكر : المرجع السابق،ص 520.

[2] وليم سبنسر،الجزائر في عهد رياس البحر،دط،تر عبد القادر زبادية ،دار القصبة للنشر ،الجزائر،2006 ص21.

[3] حمدان بن عثمان خوجة،المرآة،د ط ،تر محمد العربي الزبيري،منشورات anep،2005 ،ص 79.

[4] حمدان بن عثمان خوجة ،المصدر نفسه ،ص 82.

كما أعاد خير الدين تنضيم مملكة الجزائر فقسمها إلى قسمين :قسم شرقي يمتد من شرقي العاصمة إلى حدود المملكة الحفصية بتونس وتشمل بلاد القبائل الجبليةووضع على رأسي هذا القسم من المنطقة صديقه أحمد بن القاضي سلطان كوكو "ببلاد زواوة" أما القسم الغربي كان يمتد من الجزائر إلى حدود دولة بني زيان[1]

[1] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه ص 83.

ب) قضاء خير الدين على تمرد بن القاضي :

إن التنضيم الذي قام به خير الدين حول تقسيم المناطق قد أثار نقمة عبد العزيز ملك قلعة بني عباس والعدو اللدود لأحمد بن القاضي إذ أن هذا التنظيم وضع عدوه أمير ا عليه وحاكما في جهته فحمل لواء العصيان وأعلن تبعيته للملك الحفصي بتونس وعلى غرار ذلك شعر أحمد بن القاضي[1] بقوته حتى إنقاد لتيار المؤامرات فأعلن تمرده على خير الدين وإنضم إلى الحفصيين ملوك تونس معتمداً على مايقدمونه له من الدعم والتأييد ،حيث أسرع خير الدين فقاد قواته لقتال إبن القاضي وخاض ضده معارك ضاربة في جبال زواوة ألمنيعة وضطر خير الدين للتراجع حتى تلقي إبن القاضي دعما من السلطان الحفصي،فطور أعماله القتالية وتدهور الموقف بدرجة خطيرة بحيث وجد خير الدين نفسه مرغما على الخروج بنفسه لمقاتلة صديقه القديم[2]

ووقعت معركة بين الطرفين ولم ينجو منها إلا خير الدين وبعض رجاله بصعوبة كبيرة ،واتجه إلى قاعدته القديمة جيجل وطلب أسطوله وأسلحته وكنوزه في حين تابع إبن القاضي تقدمه في سهل متيجة وأعمل في القرى تدميرا ونهبا حتى وصل الجزائر واستمر في حكم الجزائر 6 أعوام غير أن حكم إبن القاضي تميز با لقسوة مما أثار الفوضى والإضطراب في كل مكان فواصل خير الدين تنظيم اموره ومتابعة نشاطه البحري بصورة ناجحة وتعاضمت قدرة جيشه الجديدة و هنا حدث تحول جديد حيث حدث تحالف بين خيرالدين و العدو القديم عبد العزيز ،ملك قلعة بني العباس ضد العدو المشترك ابن القاضي و دارت المعركة بين الطرفين و تمزقت قوات ابن القاضي و قررو التخلص منه و جاءت فئة منهم إلى خيمته عند غروب الشمس فقتلوه و انتهت سنة 1527 تلك الفتنة التي أضعفت الجزائرالى حد كبير[3]

---

[1] أحمد بن القاضي :كان قاضيا على بجاية عند الحفصيين، ثم والي على عنابة وساعد هناك عروج عند حصره لبجاية ثم إنتقل إلى بلاد القبائل حيث أسس إمارة سنة 1511

[2] بسام العسيلي ،خير الدين بربروس والجهاد في البحر ،ط1 ،دار النفائس،بيروت،1980،ص 115.

[3] بسام لعسيلي،المصدر نفسه ،115.

ج ــ إستراتيجية خير الدين في توسيع دائرة المواجهة:

كان وجود الحامية الإسبانية في جررة الصخرة أمر يتناقض مع ما تتطلبه مدينة الجزائر فقرر خير الدين بعد ان تم له تنضيم الأمور والعمل على تحرير الجزائر وهكذا أخذت المدفعية الجزائرية بقذف قنابلها الحديدية، وأمر خير الدين بتجهيز كل السفن الحربية وشحنها بالرجال والعتاد وأذاع في كل مكان أنه سيبحر إلى السواحل الإسبانية من أجل الغزو والجهاد واستطات قوات خير الدين الإحاطة با لجزيرة من الشرق والغرب وهاجمو الحصن بإغارة مباغتة وتمكنو من إقتحامه وكان النصر حليف خير الدين [1]

حيث قام خير الدين بتقسيم الأسرى إلى قسمين :

القسم الأول كلف بتدمير التحصينات التي أقامها الإسبانيون في جزيرة "البنيون"

القسم الثاني كلف ببناء المسجد ورفع مئذنته كما إستطاع أن يبني الجسر العريض الذي مازال إلي يومنا هذا يحمل إسم جسر خير الدين وما إن حقق خير الدين إنتصاره، حتى توجه لمهاجمة وهران والمرسى الكبير وانصرف الأسطول الإسلامي أثناء ذالك للجهاد في البحر وقد تلقي قائد الأسطول الإسباني أمراً سنة 1530 بأن يتقدم لمهاجمة الأسطول الإسلامي وتدميره، فاستعد الأميرال" أفريد ريكو بور " للحملة من جديد لمطاردة أسطول خير الدين فدارت معركة عنيفة قتل من خلالها القائد الإسباني وتم أسر بعض السفن الإسبانية وأنسحب الأسطول الجزائرى بعد أن ضم إليه الغنائم والأسلاب التي كسبها من المعرك[2]

ثم ما لبث الأمر أن ظهر العدو اللدود لخير الدين وهو "اندريا دوريا" الذي غادر المرسى الإيطالي سنة1531 وسار بقواته نحو الساحل الجزائري وكان خير الدين يتابع جهود عدوه باستمرار وقد حدد"أندريا دو ريا" مدينة شرشال هدفا مباشراً لهجومه [3]

---

[1] بسام العسيلي، المصدر نفسه،ص121.

[2] قرياش بلقاسم،تاريخ الجزائر و حقيقة القرصنة الجزائرية،رسالة ماستر،جامعة حسيبة بن بو علي الشلف،2011\2012،ص21.

[3] بسام العسيلي ،المصدر السابق،ص125.

الفصل الثالث

المبحث الأول : أهم الحملات الاسبانية

-1558:حاول الإسبان أن يغزو مدينة مستغانم و يحتلها بقيادة حاكم وهران الإسباني الكوديت ,وابنه دون مارتن فهزمهم البيلر باي حسن بن خير الدين وقتل الكونت وأسر ابنه وأرغم من نجا منهم على افرار إلى وهران وأسر حوالي12 رجل إسباني[1]

- 1559كانت هناك معاهدة تمت بين فرنسا و إسبانيا التى نصت على ضم فرنسا لمدينتي

ميتروكالي عزم فيليب الثاني لإسباني على مهاجمة درغوث باشا في طرابلس تمهيدا لشن هجوم كبير على الجزائر وبالفعل تم الهجوم ونجح لأسباب معينة [2]

-1557 حملة خوان الفاسكوني الإسباني على الجزائر بمساعدة وتاييد من ملك إسبانيا [3]

-1558 حيث التقي الأسطول الجزائري بعمارة قوية فاسفرت المعركة عن أسر 18 سفينة جزائرية [4]

-1601 حملة صليبية على مدينة الجزائر شاركت فيها قوات البابا وجنوة ونابولي والطومكانا وصقلية وسردينيا وباما وموديتا وجزر البليار بقيادة جوجان دوريا الجنوي حفيد قائد البحرية الإسبانية اندري دوريا ا

-1603الإسبان يهاجمون أزفون بسواحل بلاد القبائل

- 1616 هجوم اسباني هولندي على سواحل جيجل[5]

-1732حملة اسبانيا على الجزائر و كانت متجهة الى مدينة وهران

-1775كانت ضد مدينة الجزائر حيث امر امير الجزائر بالاستعداد للدفاع عن مرسى الجزائر، وان باي قسنطينة يعسكر بقوات تعدادها 40 الف رجل عند راس ما يتفو وهو المكان الذى

---

[1] - إبراهيم حركات،المغرب عبر التاريخ المرينين إلى نهاية السعديين ،دط،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء،1978،ص282

[2] - مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص97 .

[3] - ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي في التاريخ ،ج4(ط) المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1948،ص45.

[4] - احمد توفيق المدني،حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر 1492-1792،دار البصائر،ط2009،3،ص2000.

[5] - عمار عمورة،الجزائر بوابة التاريخ ،ما قبل التاريخ حتى 1962(ط)دار المعرفة باب الواد،الجزائر،2000،ص156.

نزل به شارلكان [1]و كان هدف الاسبان هو الاستلاء على مدينة الجزائر [2]

-1775:مهاجمة الاسطول الإسباني لمدينة الجزائر بقيادة أوروبي و انهزامه على سواحل الحامة و الحراش

-1784-1783:غارتان اسبانيتان على مدينة الجزائر بقيادة أنطونيو دوبارثولو بأمر اسبانيا شارل03 [3]

-1783-1775:ضد مدينة الجزائر و كانت كلها فاشلة بسبب قوة الاسطول الجزائري,و ضعف القوة البحرية الاسبانية.

و كانت لهته الحملات أهداف أبرزها:

- التخلص من القوة البحرية الجزائرية
- فرض السيطرة على البحر الأبيض المتوسط
- احتكار التجارة الدولية من طرف الأوربيين [4]

[1] - شارلكان:1500-1558 ;ملك اسباني و يعتبر أحد أعظم الملوك في تاريخ اسبانيا,هزم القوات الاسبانية و أسر الملك فرانسوا في معركة "بافيا"عام1525 في عهده اتسعت رقعة الامبراطورية في أوروبا.

[2] - جمال قنان:نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830(دط)الراند للكتاب,الجزائر,20,0ص ص206-207

[3] - ناصر الدين سعيدوني,ورقات جزائرية,دار الغرب الاسلامي,ط,بيروت,2000,ص199.

[4] - أحمد توفيق المدني,مذكرات أحمد الشريف الزهار,تقيب اثران الجزائر,دار البصائر الجزائر,2007,ص123.

المبحث الثاني : فشل المشروع الاسباني:

ان تواجد العثمانيين في الجزائر هو العامل الوحيد الذي ما هم في نجدت و انقاذ البلاد من الغزو الاسباني ,حيث نجحا عروج و خير الدين في صد غارات الاسبان و أخضعا الملاحة في البحر المتوسط لسيطرة الأساطيل الاسلامية ,و قد هابتهم دول أروبا و بذالك فشلت محاولات الاسبان للسيطرة على الجزائر[1]

لقد توالت الحملات الاسبانية على الجزائر وخاصة تصدي خير الدين لها ومحاولة القضاء على هذا التمرد ,وكانت تهدف هذه الحملات الى اقامة الحصون والقلاع و تحرير الأسرى المسيحيين ,الا أن جل هذه الحملات باءت بالفشل وهذا راجع الى جنود الأتراك الذين يقومون بقتل و جرح الاسبانيين وقصفهم بالمدافع[2]

كما أن تحويل مدينة الجزائر الى حصن للجهاد البحري ضد الأروبيين ,و بفضل الجهود التي قام بها المجاهدون أصبحت مركزا مدنيا و حربيا خاصة بعد اتحاد رياس البحر العثمانيين,فأصبحت الجزائر هي القوة الضاربة في حوض المتوسط,

وكان هدفهم هو القضاء على التجارة الاسبانية في البحر.[3]

---

[1] - جمال عبد الهادي محمد مسعود ,المجتمع الاسلامي المعاصر (دط)افريقيا,دار الوفاء ,1955,ص55

[2] - صالح عباد ,الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830),ط2,دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع,2007, ص53-55

[3] - وليم سبنسر ،المرجع السابق،ص25

لقد كان مصدر العدوان الأروبي و اداته هي الأساطيل البحرية و كثف القراصنة الأروبيون غاراتهم و هجوماتهم على الجزائر وعلى كل بلدان المغرب في اطار الروب الصليبية البغيضة و تمكن الاسبان من احتلال معظم الموانئ الجزائرية والمغاربية و أرغمت الجزائر على مواجهة العدوان بمثله,و أحدثت أسطولا قويا للدفاع عن نفسها و شرفها و دينها ,و مقدساتها و لم تكن هي البادئة بالعدوان ,بل استحدثت الجهاد للرد على العدوان بالإضافة الى قوة الأسطول الجزائري البحري و جيشه الذي كان من أقوى الجيوش أنذاك ,حيث تحالفت القوات العثمانية مع القوات الجزائرية في تحرير الجزائر بصفة نهائية من الاحتلال الاسباني[1]

ولقد اشتدت الغارات الاسبانية بصورة مكثفة ضد الجزائر و خاصة في عهد محمد عثمان باشا وقد واجهت الداي في عهده عدة حملات بحرية اسبانية استهدفت تحطيم مدينة الجزائر و احتلالها ان أمكن الا أنه تمكن من دحرها و الحاق هزائم نكراء بها و أشهر هاته الحملات كانت أعوام,1775-1783-1784[2]

[1] - ع الرحمن بن محمد الجيلالي ,تاريخ الجزائر العام,ج3,ط7 ديوان المطبوعات الجامعية ,الساحة المركزية ,بن عكنون ,الجزائر ,1999,ص90

[2] - أحمد توفيق المدني ,المرجع السابق,ص25

ـ حملة ضباط أوريلي:الفاشلة عام 1775 م

أعد الملك كاريوس حملة حربية بحرية ضد الجزائر حيث وصلت هته الحملة إلى مدينة الجزائرفي شهر جويلية 1775 حيث تعرضت لهزيمة ساحقة لأن الداي حصن المدينة ودعم الأسطول واستدعى قوات كبيرة من كل بيلكات البلاد فقتل الإسبان ما بين 4 و10 ألاف رجل وغنم الجزائريون 16 مدفعية و طعتين للرمي وكميات كبيرة من الذخائر و البنادق والملابس والأخشاب[1]

ـ حملة أنطونيو.عام 1783م

بعد فشل أوريلي عام 1775 .أدرك الإسبان بصعوبة النيل من الجزائر وقهرهاعسكريا فوسطو الدولة العثمانية لعلها تقنعها بالتفاوض لإبرام الصلح بين البلدين إلا أن ذلك لم يأتي بنتيجة فأعلن كارلوس حملة بحرية ووصلت هته الحملة إلى الجزائر وعدد سفنها الحربية 76وشرعت في قصف المدينة ولكن قوات الداي البرية والبحرية صمدت وواجهت التحدي بمثله مما جعل القوات الإسبانية تنسحب مهزومة ومذلولة وتأكد الإسبان من أخرى من عدم جدوى مغامرتهم العسكرية [2]

[1] يحيا بو عزيز ،الموجز في تاريخ الجزائر،د ط،ديوان المطبوعات الجامعية ،2007،ص ص72،73.
[2] يحيا بو عزيز ،المرجع نفسه ،ص ص74،75.

ـ حملة دون أنطونيو الثالثة :عام 1784

رغم فشل مشروع 1783فإن الإسبان لم يتعض و صمموا على تجديد الكرة حيث تألفت الحملة من 130 سفينة مختلفة الأشكال والأنواع ووصلت إلى الجزائر في شهر جويلية 1784 ودامت المعارك من 11 إلى 21 من الشهر وتعرضة لهزيمة كسابقتها وكانت أخر محاولت من هذا النوع ،إضافة إلى ذلك أن الدولة الجزائرية في هذه الفترة تمتعت بحرية العمل في المجال السياسي وبنت جيشا قويا إستطاع بفضله على التحدي لمحاولات الدول الأجنبية [1]

ومن أهم العوامل التي ساهمت في إنتصار الجزائر على الإسبان يمكن تلخيصها في النقاط التالية وهي :

ـ الإستعداد النفسي والإيمان بحق الدفاع عن حورمة الإسلام بعد إنهيار الأندلس.[2]

ـ إزدياد نشاط البحرية الجزائرية وإلتحاق كثير من البحارة الأتراك والأندلسيين بالجزائر للعمل في البحرية [3]

ـ مهارة البحارة الجزائريين وكفاءتهم الحربية ومقدرتهم القتالية العالية مكنتهم من تحقق إنتصارات حاسمة

ـ إستخدام البحارة الجزائريين الأساليب الحربية الملائمة مثل

---

[1] يحيا بوعزيز ،المرجع نفسه،ص76.

[2] ناصر الدين سعيدوني،المرجع السابق ،ص ص190، 191

[3] ناصر الدين سعيدوني،الشيخ المهدي بو عبدلي، المرجع السابق ،ص 44.

الإلتجاء إلى الغارات المفاجئة و إستعمال البنادق و المدافع في هجوماتهم [1]

-إستعمال نوع من السفن الصغيرة التي تتميز بخفتهاو و سرعة حركتها و قدرتها على المناورة [2]

- عملت الجزائر بكل جهودها لتقوية نفسهاو تدعيم دفاعاتها ضد العدوان الإسباني إذ أن عقد الصلح مع إسبانيا قد فتح أمامها مضيق جبل طارق و الدخول لإلى المحيط الأطلسي لممارسة نشاطها[3]

- و هكذا فقد ساعد الجهاد البحري على توحيد صفوف المسلمين كما سمح بمحاصرة و تصفية الجيوش الإسبانية [4]

ومن ثم فإن فشل المشروع الإسباني كان بفضل تكاتف الجهود العثمانية الجزائرية حيث عملت على محاصرة و تصفية الجيوش الإسبانية و بالتالي وضع حد للتوسع الإسباني بشمال إفريقيا[5]

[1] ناصر الدين سعيدوني ،المرجع السابق ،ص191.
[2] ناصر الدين سعيدوني ، المرجع نفسه ، ص44.
[3] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ،المرجع السابق ،ص193.
[4] حنيفي هلايلي ،التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني ،مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،العدد24،دار الهدى للطباعة ، و.ن،و.ت،عين مليلة ، ديسمبر ،2007،ص55.
[5] ناصر الدين سعيدوني ،المرجع السابق ،ص192.

المبحث الثالث :أوضاع الجزائر بعد الإحتلال الإسباني

كانت الجزائر جزء من الإمبراطورية العثمانية من عام 1518 و لكن سلطة الدايات جعلت من البلاد دولة مستقلة ،كما سمحت الدولة العثمانية بحق عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية دون الرجوع إلى السلطان العثماني و رغم هذا فإن الجزائر شهدت خلال القرن 18 إنهيار في الإقتصاد ،بسبب كساد الحركة التجارية و مقاومة الدول الأروبية للقرصنة الجزائرية ، كما شهدت فوضى سياسية بسبب النزاع بين الدايات بعضهم و البعض ، مع رجال الجيش و مع القراصنة حتى فقدت البلاد تقدمها و اضطرب الأمن و أصبحت بفضل المعاهدات مع الدول الأروبية مجالا للنفوذ الأروبى على حساب إستقلال البلاد وعلى حساب مصلحة أهلها[1]

إن التدهور الكبير الذي عرفه النظام الإقتصادي و الإنهيار الديمغرافي ،في الفترة الأخيرة للعهد العثماني أي منذ أواسط القرن 17م ،كما إستولى الفرنسيين على 10871 غنيمة بحرية بمياه المتوسط ما بين 1793-1815 وهذا دليل على التفوق البحري الذي احرز عليه الأوربيين ،في الوقت الذي كانت فيه الجزائر تعاني من قلة التجهيزات البحرية [2]

---

[1] رافت الشيخ ،تاريخ العرب المعاصر ،دط ،عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية ،1996،ص131.
[2] ناصر الدين سعيدوني ،المرجع السابق،ص199.

ففي عام1799 منح الداي مصطفى باشا إلى كل من عائلتي بوخريص و بوشناق اليهودية،حق إحتكار تجارة الخشب و اللذان تسبب في مشاكل مع القبائل التي كانت تبيع الخشب،بسبب طمعها في ربح أكثر، فظلت كميات هامة من الأخشاب مكدسة فوق الشواطئ دون أن تأخذ طريقها إلى صناعة السفن،فأحدث ذلك فجوة في صناعة السفن الجزائرية،وكذلك لم يكن ممكن تعويض السفن و البواخر التي توجهت إلى اليونان في عام 1821-1826 [1]

كما عاشت الجزائر بعد الإحتلال الإسباني حالة جد مزرية تمثلت في:

-إنتشار المجاعة و إزداد المرض و كثر موت الاطفال وبالتالي أخذ عدد السكان في التناقص

-إنهاك الاراضي الزراعية فأصبحت غير قادرة على الإنتاج لأن الجزائريين كانوا يحافظون على خصوبة التربة و يعملون بنظام الدورة الزراعية قبل وصول الإسبانيين [2]

-أما التعليم فنسبة الأمية أصبحت تتراوح ما بين 70%و85%

-كانت الجزائر تعاني من سوء التغذية وهو العامل الفعال في إنتشار الأمراض بين المواطنين الإفريقين وهو وحده الذي يؤدي إلى إرتفاع نسبة الوفيات عند الأطفال

-بعدما سيطر المغتصب على الأراضي و اقتسم الغنائم وأصبحت إفريقيا مقتسمة ،زال كل أثر للتجارة الداخلية،وتركز النشاط على التجارة الخارجية[3]

---

[1] عبد الله شريط ،محمد مبارك الميلي،مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي و الاجتماعي ،ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1985،ص179.

[2] جمال عبد الهادي ،وفاء محمد رفعت جمعة،إفريقيا يراد لها أن تموت جوعا ،ط3،دار الوفاء ،1991،ص87.

[3] جمال عبد الهادي ،وفاء محمد رفعت جمعة،المرجع نفسه،ص ص 91،88.

خاتمـــــــة

الخـــــــــــاتمـــــــة:

فبعد الإنتهاء من هذا البحث والحمد لله ،قد إتضحت لنا بعض الإستنتجات :

1:إن قهر الحملات الإسبانية،وكسر شوكتها،والإلقاء بها في البحر ،قد تم بواسطة الجهاد الإسلامي الأكبر الذي قاده الأتراك.

2:إنهيار النظام الإجتماعي و الإقتصادي في إسبانيا و تعطل الإنتاج بصفة عامة،وانعداموسائل التصنيع هو الذي دفع بالإسبان إلى ذلك النوع من اللصوصية المسلحة العدوانية التي تدعى الإستعمار.

3:إن الوضع الداخلي الذي كان يعيش المغرب الأوسط من حالة تفكك و اضطراب هو الذي جلب أطماع الإسبان إلى الجزائر.

4:إن الحقد الإسباني لاحتلال العرب لبلادهم هو الذي جعلهم ينتقمون و يحولون أنظارهم إلى السواحل الجزائرية.

5:إن سبب سقوط بعض المناطق الساحلية في يد الإسبان راجع إلى انغماس بعض المسلمين في مستنقع فتنة داخلية مشوهة بدلا من خوض غمارات الجهاد.

6:إن تدخل الإخوة عروج وخير الدين ميدان الحرب ضد الإسبان هو الذي غير موازين القوى لصالح الجزائرية.

7:إن التنظيم الجديد الذي وضعه عروج حول تقسيم المملكة إلى قسمين ساهم في تشتيت شمل الإسبان .

8:يعتبر خير الدين هو الرجل الذي منيت به المقادير الإلهية على هذا الطن الجزائري بعد استشهاد أخيه.

9:إن المسلمين الذين اضطرتهم الإنتصارات الإسبانية إلى ترك أوطانهم وأموالهم وممتلكاتهم،إنما لجئوا إلى بلاد المغرب العربي المختلفة يستشيرون أهلها.

10:إن الدولة الزيانية قد ذهبت ضحية محاولات الحفصيين و المرينيين معا فكل من الجانبين كان يرى وجوب محقها والإستيلاء على أرضها.

11:إن المحنة التي أصابت مسلمي الاندلس هي القطرة التي أفاضت الكأس و أتاحة الفرصة امام الإسبان من أجل القيام بحملة صليبية.

12:سياسة خير الدين التي ترمي إلى تحقيق أمرين :

أ:جمع وحدة البلاد و إرساء أركان الدولة على أسس متينة.

ب:تحصين الثغور استعدادا لرد العدوان و استرجاع المدن الجزائرية التي يحتلها الإسبان.

وفي الأخير ،وفي نهاية هذه الدراسة،المتعلقة بموضوع حساس ودقيق،إذ يتعلق بماضي ومستقبل هذه الأمة من جميع النواحي خاصة الدينية منها،حاولنا أن نسهم ولو بجهد بسيط في لفت الانتباه إلى الخطر المحدق بهذه الأمة ،وما يتربصه بها من أعداء ،الذين لا تنام أعينهم حتى تحقيق أهدافهم ،فحري بعلماء المجتمعات العربية والإسلامية وستقفوها أن ينتبهوا،ويثوروا من غفلتهم،ويتنشلوا الشعوب الإسلامية منمصير هو الأن بيد هؤلاء و أتباعهم الذين انتشرا في كل مكان ينخرون جسد الأمة الضعيف،وبوسائل أخرى عديدة ظاهرة وباطنة.

الملاحـــق

الملحق رقم 01: مدينة بجاية في أواخر القرن 15م.

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

المرجع:

Source gallica.bnf.fr/ Bibliothéque nationale de France.

http://gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b7759370f.r-bejaia.langFR

الملحق رقم : 02 : غزو الاسباني للمرسى الكبير سنة 1505

المرجع http://ar.wikipedia.org/wiki/ :www.

الشكل رقم03 : يمثل قلعة البنيون " Le Pengnon D'Alger ".

LE PEGNON D'ALGER LES ILOTS D'EL-DJEZAÏR

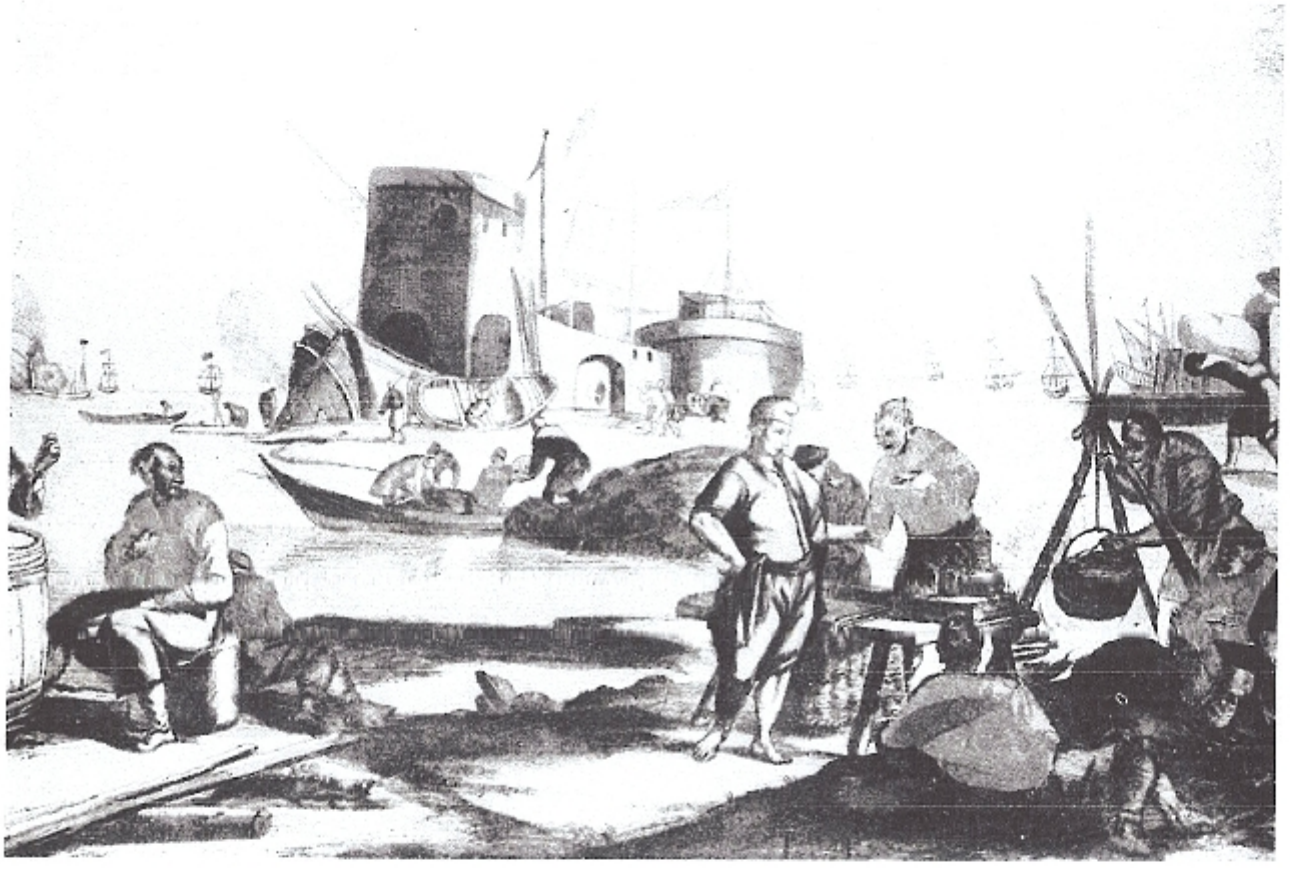

المرجع:

http://www.algerie-ancienne.com/Salon/Turque/gravur/001.htm

الملحق رقم04: الجزائر في القرن 16، مع السور البحري الذي بناه خير الدين بربروسا، والمنشآت المتبقية على صخرة الجزائر (Pe□□n).

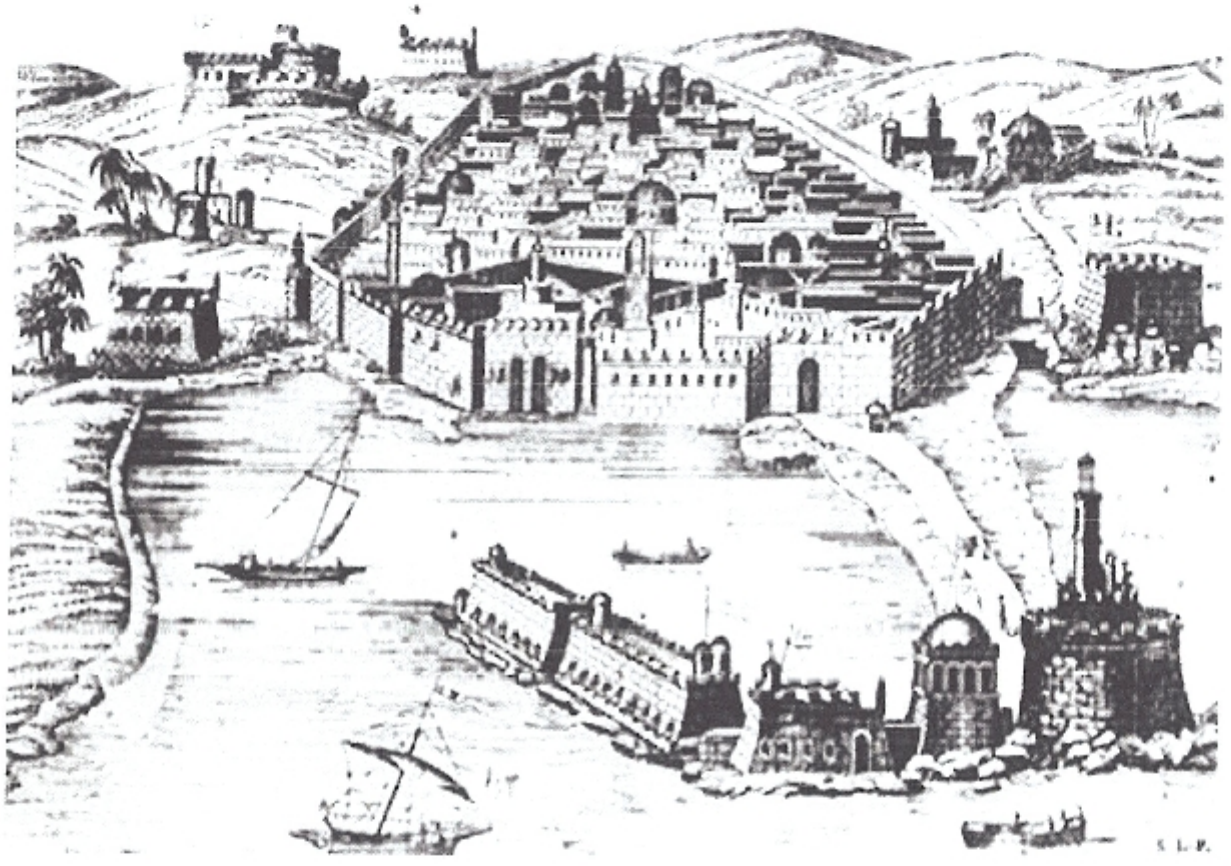

المرجع:

Wikipedia, the free encyclopedia

http://en.wikipedia.org/wiki/File:Old_algiers_16th_century.jpg

الملحق رقم -05 خير الدين بارباروس أمد البحار

http://www.dzhawaa.com/vb/dzhawaa41523/

ـ قائمة المصادر :

1): إبن الزيان أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي،التشوف إلى الرجال،التصوف،تح:أحمد التوفيق،د ط،منشورات محلية الأداب،1984.

2):إبن الحاج النميري،فيض العباب وإفاضة قداح الأداب في الحركة السعيدةإلى قسنطينة والزاب ،دراسة وإعداد محمد بن شقرون،ط 1،الغرب الإسلامي1990.

3): إبن خلدون عبد الرحمان ،العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهممن ذوي السلطان ال الأكبر ،ج7 ،دط،دار الفكر،د س.

4):العبدري أبو عبد الله محمد بن محمد ،رحلة العبدري،تح،علي إبراهيم ،د ط، دراسة للطباعة والنشر ،1999.

5):الحسن الوزان بن محمد الفاسي،وصف إفريقيا،ترجمة محمد حجي،ج2،دط،دار النشر والمعرفة،1988ـ1989.

6):بام العسيلي،خير الدين بربار وسوجهاده في البحر .

7):مرمول كاربخال ،إفريقيا ،ج2 ،تر،محمد حجي،ج2،دط،د س.

8):حمدان بن عثمان خوجة،المرأة ،تر،محمد العربي الزبيري منشوراتanep 2005،

قائمة المراجع:

1):أحمد توفيق المدني ،الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا،1492،1792،د ط،دار البصائر،2009،

2):أندري نوشي وأندري بريان ولاكوست إيفا،الجزائر بين الماضي والحاضر ،ترجمة إسطنبولي رابح وعشور منصف،د ط ،ديوان المطبوعات الجامعية 1984.

3): إبن الأحمر تاريخ الدول ة الزيانية ،تحقيق هاني سلامة ،ط1،مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع،2001.

4): إبراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ المرينين إلى نهاية السعديين ،د ط،دار الرشاد الحديثة ،1978.

5):جلال يحي، المغرب العربي الكبير ،ط2،المكتب الجامعي الحديث ،1982.

6): جمال عبد الهدي محمد مسعود ،المجتمع الإسلامي المعاصر ،دط ،دار الوفاء،1955.

7):جمال قنان ،نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500ـــ1830)،دط،الرائد للكتاب ،2000.

8):جمال عبد الهادي،وفاءمحمد ريفعت،أفريقيا يرادو لها أن تموت جوعا،ط3،دار الوفاء،1991.

:(9خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد بغمارا سن دراسة تارخية وحضارية ،633ـــ681هـــ ،1235ـــ1282م،ط1،مطبعة تلمسان ،2005.

:(10رشيد بورويبة وأخرون ،الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ،دط،المؤسسة الوطنية للكتاب ،1984.

:(11شوي عطا الله الجمل ،عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،دط،دار الزهراء،2002.

:(12شارل أندري جوليان ،تاريخ إفرقيا الشمالية ،تونس ــالجزائرــالمغرب الأقصي من الفتح الإسلامي،

:(13صالح فركوس،مختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنقين إلى خروج الفرنسيين(814،ق م ــ1962م)،دط ،دار العلوم للنشر 2002.

:(14صالح قرية ،تاريخ الجزائر في العصر الوسيط،دط،منشرات المركز الوطني،دس.

:(15صالح عباد،الجزائر خلال الحكم التركي (1514ــ 1830)،ط2،دار هومة للطباعة،2007.

:(16عبد الرحمان بن محمد الجلالي،تاريخ الجزائر العام ،ج3،ط7،ديوان المطبعات الجامعية ،1999.

:(17عبد الحميد إبن شنهو ،دخول الأتراك والعثمانيين إلي الجزائرــدط،المطبعة الشعبية للجيش،1986.

:(18عبد الله شريط،محمدالمبارك الميلي،مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والإجتماعي،ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب ،1991.

:(19عمار عمورة ،الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ حتي 1962،دط،دار المعرفة ،2000.

:(20عمر محمد الباروني،الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس،دط،مطبعة ماجي،1952.

21):عبد العزيز فلالي،تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية،عمرانية،إجتماعية ،ثقافية ،ج1،دط،موقع للنشر والتوزيع،2002.

22):عبد العزيز سوليمان نوار ،تاريخ الشعوب الإسلامية ،دط،دار الفكر العربي،دس.

23):محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج3،دط،مكتبة النهضة الجزائرية،دس.

24):محمد العروسي المطوي،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،دط،دار الغرب الإسلامي،1982.

25):محمد فريد بك المحامي،تاريخ الدولة العثمانية،ط1،دار النفائس،1981.

26):محمد مؤنس عوض، الحروب الصلبية دراسة تاريخية قديمة،تقديم البشاوي سعيد عبد الله،دار الشروق،1999.

27):محمود شاكر،تاريخ الإسلاميفي العهد العثماني،ط4،المكتب الإسلامي ،1982.

28):ممدوح حسينة،الحروب الصلبيةفي شمال إفريقيا،ج5،ط1،مكتبة مدبولي،1994.

29):نصر الدين سعيدوني،شخ المهدي بو عبدلي ،في التاريخ،،ج4،دط،المؤسسة الوطنية للكتاب ،1948.

30):نصر الدين سعيدوني،ورقات جزائرية،دط،دار الغرب الإسلامي، 2000.

31):وليم سينسر،الجزائر في عهد رياس البحر ،تر:عبد القادر زبايدية،دط،دار القصبة للنشر ،2006.

32):يحا بوعزيز، تاريخ إفريقيا اغربية الشمالية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20،،دط،دار صومة،2001.

قائمة المراجع و المصادر الأجنبية :

1- Amar Amoura, Résumé de l'Algérie, édition 2002.

2-Dominique Joly, le dico des pirates de corsaire, édition de la Martinière ,2005

3-Dujardin Camille Lacoste, le voyage d'Idir et Djya en Kabylie initiation a la culture Kabylie , édition l'harmattan ,2003.

4-Fray Diego Haedo,rois d'Alger , traduction de Grammont , R.A.N 139.

5-Feraud,L CHARLES ? Conquête de Bougie par les espagnoles, R.A.N 12 1868

6- - Fatima Maameri, Ottoman Algeria in Western Diplomatic History with Particular Emphasis on Relations with the United States of America (1776-1816), doctorate d'états, University Mentouri, Constantine, Algeria , December 2008

7- L. charles , Féraud, les Beni Djellab sultans de Touggourt ,R.A. N°23 1879

- المواقع الاليكترونية

1-

http :www.gallica.bnf.fr/ark :/12148/btv1b7759370fr
=bejania.lang.fr

2- www://ar.wikipedia.org/wiki

3-

http://www.algerie.anciennne.com/salom/turque/graum/00.htm

4-http://e.wikipedia.org/wiki/file :old
algiers16/hcentury.jp9

فهرس المحتويات

خطة البحث:.....5

ـالإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية(1505-1792)م.....13

ـ مقدمة البحث.....8

ـالفصل الأول:أوضاع الجزائر قبل الإحتلال الإسباني.....13

ـ المبحث الأول :الناحية السياسية 13

ـ المبحث الثاني :الناحية الإقتصادية.....21

ـ المبحث الثالث:الناحية الإجتماعية.....31

الفصل الثاني:سياسة الإخوة بربروس في مواجهة المشروع الإسباني.....34

ـ المبحث الأول:طبيعة الإعتداءات الإسبانية على السواحل الجزائرية 34

أ)المرسي الكبير.....35

ب) وهران.....37

ج) بجاية.....39

د) عنابة.....40

ـالمبحث الثاني:دور خير الدين في رد الهجمات.....41

أ)الأسس الإستراتجية لسياسة خير الدين في الدفاع والمواجهة.....43

ب)قضاء خير الدين على تمرد بن القاضي.....45

ج)إستراتجية خير الدين في توسيع دائرة المواجهة.....46

ـالفصل الثالث:الحملات الإسبانية في الجزائر 49

ـالمبحث الأول:أهم الحملات الإسبانية.....49

ـالمبحث الثاني:فشل المشروع الإسباني.....51

ـالمبحث الثالث:أوضاع الجزائر بعد الإحتلال الإسباني.....56

ـخاتمة البحث.....59

ـ الملاحق.....62.

قائمة المصادر والمراجع.....66